ضَهْر الفَرَس

هيثم دبور

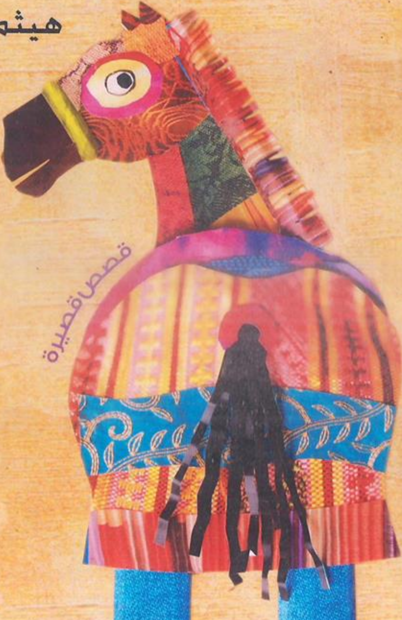

قصص قصيرة

دار الشروق

إهداء

إلى عبد الستار دبور..

عيلتي وسارة..

كريم وعطية..

ومَن جعلت الحياة أيامهم حكيا.

المحتويات

فاصل إعلاني ١١
فردي ١٨
بريشة مصطفى حسين ٢٥
(.....) ٣٦
ضمير الغائب ٤٧
قبيل الزفاف بنحو أسبوع ٥١
تين شوكي ٥٧
قداس الأحد ٦٢
صندوق الطرد ٧٤
Woman on top ٧٩
قيد عائلي ٨٧
تحت أمرك يا فندم ٩٧
صاحب السعادة ١٠٦

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥ .... ١١١
ضهر الفرس ١١٨
@yassereldaba ١٢٣
طلب تظلم ١٣٢
مات الكلام ١٣٩

يَقْمُصْنَ في مثلِ المُدَى من باردٍ
يَـذَرُ الفُحُولَ وَهـنَّ كالخصْيانِ

المتنبي

فاصل إعلاني

يجلس «أحمد عبد السلام» على واحدة من قطع الديكور التي لم يستخدمها الفنيون بعد في تجهيزات موقع التصوير، يراقب عملهم بنوع من الاهتمام، يصطدم أحدهم بقدمه وهو ينقل مصباح إضاءة «أبوللو» لإنارة الموقع الذي يبدو وكأنه جزء من شقة ذات أثاث عصري حديث أمريكي الطابع، يتداخل فيه المطبخ مع غرفة الجلوس زاهية الألوان، ينظر في ساعته فيجد أن الظهر قد انتصف تقريبًا، يتذكر صلاة الظهر التي لا يصليها عادة، يُقرر أن يفعلها هذه المرة طمعًا في أن يُكرمه الله في هذا اليوم المميز بالنسبة له، يجد عاملان افترشا حصيرة خضراء وشرعا في الصلاة، لكنه يخرج من الأستديو بحثًا عن مسجد قريب حتى لا يلمحه أحد يؤدي الفريضة فيتهكم عليه أو يحصره في صورة ذهنية يصعب تغييرها وهو في بداية مشواره، ثم إنه لا يواظب على الصلاة، إلا أنه يخرج هذه المرة عن القاعدة معتبرًا في الركعات الأربع التي سيؤديها نوعًا من تميمة الحظ.

لن يدرك المقربون أن اليوم يستحق تلك الهالة التي يرسمها «أحمد عبد السلام»، يوم تصوير عادي في أحد الإعلانات لأحد المنتجات التي لا يعرفها هو شخصيًّا. كرر ذلك كثيرًا طوال العامين الماضيين منذ تخرجه في كلية الآداب شعبة المسرح بعد خمس سنوات من التعليم بدلًا من أربع. لعب المسرح الجامعي دورًا في هذا التأخير، واستقر على العمل في الإعلانات كموديل طمعًا في الحصول على فرصة مناسبة وقريبة للعمل في فيلم سينما، يُذكِّر نفسه بأن «جيهان نصر»، و«ياسمين عبد العزيز» كانتا فتاتي إعلانات قبل أن تحصلا على فرصتيهما. يقول لصديقه الذي تخرَّج معه، لكنه عمل في العلاقات العامة: «الناس دول اشتغلوا في الإعلانات أيام الرُّخص، دول اللي صحيوا بدري، لكن دلوقتِ كل الناس بتفكر زي ما أنا بافكر».

يتفادى «أحمد عبد السلام» المسح على شعره في أثناء وضوئه. يخشى أن يتلف ذلك تسريحة شعره التي اجتهد فيها منذ ساعات، يبرر الأمر بأن شعره طاهر بفعل حمام الصباح؛ فلا حاجة للمسح عليه. يركع ركعته الأولى وعقله منشغل في سيناريو الإعلان الذي سيُمثله لأول مرة كبطل، صحيح أنه صامت أيضًا، لكنه البطل. يتذكر أنه طوال عامين اشترك ضمن مجموعات كثيرة في إعلانات عديدة لشركات محمول ورقائق البطاطس وشركات الإنترنت وغيرها، واكتسب خبرة تجعله يخمن نوعية المنتج الذي يعلن عنه من خلال طبيعة الديكور والمُخرج.

يدور سيناريو الإعلان هذه المرة في مشهدين، تشاركه فتاة جميلة نحيفة نوعًا فيه، الأول: أن يحتضنها من الخلف وهي تقف في المطبخ مرتدية ملابس بيضاء في حميمية، ويقرب رأسه بجوار رقبتها. والثاني: تجري فيه مرتدية ملابس ذات لون تركواز واسعة فيحتضنها بذراعيه ويدور بها، وهو ما جعل «أحمد عبد السلام» يفكر في أن الإعلان خاص بمنتج شوكولاتة على الأغلب. يسأل مدير الإنتاج قبل التصوير فيرد: «المُخرج نفسه ما سألنيش احنا بنعلن عن إيه يا عبد السلام؟». يتضايق «أحمد» من أن الجميع يناديه «عبد السلام» لشيوع اسمه الأول. يُصبر نفسه بأنه حين يُصبح مشهورًا ويتصدر اسمه تترات أحد الأعمال السينمائية، كبطل مساعد على الأقل، سيتذكر الجميع أنه «أحمد عبد السلام».

لم يخرج «أحمد عبد السلام» من بيته بعد عرض الإعلان بأسبوع كامل، إذ كان إعلانه الأول، كبطل، خاص بمُنتج للفوط الصحية للنساء؛ يلعب فيه دور الزوج، وعلى الرغم من ذلك فقد كان وجهه الذي يحمل وسامة مصرية محببة ملفتًا لعدد من المُعلنين ليكرر التجربة كبطل بعد أن تعارف الوسط الإعلاني من مديري الإنتاج ومكاتب الإعلان وحتى المصورين عبارة «هاتوا الواد بتاع إعلان الفوط الصحية». لذلك عُرف «أحمد عبد السلام» من وقتها باسم «عبد السلام أولويز» على الرغم من أنه لم يكن المُنتج الذي يُعلِن عنه.

وطوال ثلاثة أشهر سبقت رمضان لَعِب «عبد السلام» نحو

خمس إعلانات ظهر فيها كبطل، وتكلَّم في ثلاثة منها، وأصبح من الوجوه الإعلانية المميزة، لكن اسم «عبد السلام أولويز» لم يفارقه! يحدثه مدير الإنتاج في المحمول: «يا أولويز عايزك في حملة إعلانية من ٣ إعلانات وانت البطل». ينفعل «عبد السلام»: «يا مستر محمود انت لو فضلت تقوللي يا أولويز تاني أنا مش هاشتغل». يرد محمود بهدوء: «إنت هتتنطط ياض.. ما تخليك كده عاقل وتمتص النرفزة زي ما أولويز بتمتص البلل بالظبط». يضحك بذات الهدوء ويكمل: «براحتك.. هاستنى ردك كمان ساعة.. دا كان إعلان فيه سفرية حلوة لشرم.. قلت لك قبل كده عن الطيارة اللي وقعت ما عدا الست اللي كانت لابسة أولويز لأنه بالأجنحة».. يكمل ضحكه: «سلام».

يسافر «عبد السلام» على الرغم مما يبديه من تذمر تمثيلي يحاول به تقليل الدعابات التي اقترنت باسمه الجديد. يرى أنه قطع مشوارًا لا بأس به. يقنع نفسه أحيانًا بأنه نوع من النصر أن تعرفه شركات الإعلانات بالاسم. يشعر بنوع من السعادة هذه المرة؛ لأن المخرج عادل المهدي، الذي يُخرج الإعلان مُخرجًا سينمائيًّا أيضًا. يتخيل سيناريوهات متعددة لما سيقوله له قبل التصوير أو في أثناء الاستراحة. الإعلان هذه المرَّة عن نوع من البورسلين، لكنه لا يجد مبررًا أن يتم تصوير الإعلان على شواطئ شرم الشيخ. يتحدث أحد مساعدي المخرج قبل التصوير إلى المصورين و«عبد السلام».

فكرة الإعلان تعتمد على ربط الطبيعة بالخطوط الجديدة التي يضعها البورسلين في تصميماته. ينظر إلى عبد السلام قائلًا: «إيه ده يا أولويز.. إنت حاطط جيل في شعرك.. الجيل ده تجيبه من الفوط بس». لا يتمالك «عبد السلام» نفسه فيلكم مساعد المُخرج، ويستبدله المُخرج بعد تكليفه أجرة السفر كشرط جزائي موقَّع عليه في عقده.

حين يقرر «عبد السلام» أن يتوقف عن تصوير الإعلانات انتظارًا لفرصة سينمائية، يجلس في منزله لمدة عامين، يخرج يوميًّا في الثامنة مساءً إلى أحد مقاهي وسط البلد ليتفادى والدته التي تحثه للبحث عن عمل، ويعود في الثامنة صباحًا لينام تفاديًا لمقابلتها في ساعات صحوها. يطالب أصدقاءه من مساعدي ومديري الإنتاج أن يبحثا له عن فرصة، حتى يخبره أحدهم أنه سيمنحه فرصة لعمل أربعة مشاهد في فيلم «عادل المهدي» الجديد. يلعب خلالها دور أحد رجال التيار السلفي بجلباب أبيض ولحية طويلة، وينطق خلال المشاهد الأربعة ست جمل فقط حفظها عن ظهر قلب. يُحدثه مدير الإنتاج عن الدور البطولي الذي فعله لإقناع المُخرج به، خصوصًا بعد واقعة لَكْم مساعده. وعلى الرغم من المبالغات التي تصيب «عبد السلام» بالملل يشكر مدير الإنتاج، ويسأل عن المساعد الذي لَكَمه، فيُطمئنه مدير الإنتاج أنه يعمل في الفيلم مساعد إخراج ملابس يهتم بـ«راكورات» الملابس فقط، لذلك فلن يحتك به كثيرًا.

يمر التصوير بسلام على الرغم من الضحكات والنكات التي اعتادها «عبد السلام»، والتي تُذكِّره باسمه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. يُصرُّ مساعدو المُخرج على إحراجه قائلين: «مال وشك مخطوف كده ليه؟!»، أو أن يسخر منه فنيُّو الإضاءة في أثناء ذهابهم للصلاة قائلين: «عندك عُذر ولَّا إيه يا عبد السلام؟!».

أفيشات الفيلم وضِعت في الشوارع قبل عرض الفيلم بشهر، عرف «عبد السلام»، خلال اتصاله بمدير الإنتاج الذي سأل أحد مساعدي الإخراج، أن المُخرج لم يحذف سوى مشهد واحد من مشاهده الأربعة. لم يتضايق كثيرًا، وظل طوال أسبوعين يحاول أن يبحث عن طريقة يحصل بها على دعوة للعرض الخاص؛ إذ لم يدعُه أحد. يقول لمدير الإنتاج الذي منحه الفرصة: «هاموت واشوف الفيلم والعرض الخاص بكره». فيرد: «هينزل للجمهور كمان يومين.. ما تتعبش نفسك هنروح نشوفه سوا». يسأل عبد السلام: «طب ما تعرفش اسمي نازل في التتر الأولاني ولا الأخراني؟»، فيضحك مدير الإنتاج: «إنت تحمد ربنا لو نزلوه أساسًا»، ثم يضيف بلهجة جادة مطمئنة: «نازل في الآخر زي كل الممثلين المساعدين اللي طالعين في كام مشهد».

يقف «عبد السلام» على باب السينما منتظرًا مدير الإنتاج ليدخلا الفيلم معًا. يطلبه فلا يرد، ثم يجيب برسالة نصية معتذرًا عن عدم الحضور. يجلس «عبد السلام» في ظلام القاعة متابعًا مشاهده، شاعرًا بنوع من السعادة الغامرة. يبحث عن اسمه فيجده الرابع في

تتر النهاية. ترتفع كلمتي «عبد السلام أولويز» خلال الشاشة السوداء بينما تتخشب أعضاؤه غير مصدقة. يطلب مدير الإنتاج فلا يرد، ثم يرد برسالة نصية: «يا ريت يبقى الفيلم عجبك، أنا لسه ما شفتوش لحد دلوقتِ لأني مهروس في سبوبة».

فردي

١١

«الله أكبر.. بسم الله الرحمن الرحيم..

سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون. صدق الله العظيم».

حاملًا أكياس من الخضر يدخل «عادل مكين» البناية التي يسكنها قبل أن يلمح جيرانه يقفون في البهو الصغير الذي يفصل المدخل عن المصاعد، يشاهد الحاج «محمود» والحاج «فايز» يقفان مع بواب العمارة واثنين من العمال، ويبدو أن العاملين انتهيا لتوهما من إصلاح المصعد الذي اقترب من شهره الثالث رافعًا لافتة «معطل». يهز «عادل» رأسه محييًا الجميع، ومن دون أن يضيف كلمة يتجه بهدوئه المعتاد نحو المصعد الفردي، حين يقطع الحاج «محمود» حديثه مع البواب موجهًا حديثه للجميع: «ابن حلال يا دكتور عادل.. إحنا نطلع معاه نجرب الأسانسير مرة أخيرة قبل ما نصرف العمال». يبتسم ابتسامة محايدة ويكمل

بفخر: «ابسط يا دكتور هتكون أول واحد يجرب الأسانسير بعد تغيير الموتور القديم».

يفتح الحاج «فايز» باب المصعد ويعرض على البقية الدخول أولًا، يحاول الحاج «محمود» أن يفعل المثل قبل أن ينتصر الحاج «فايز» بجملته: «أبدًا يا جماعة.. اليمين أولًا». يأمر البواب أن يبقى مع العاملين. يضغط الحاج «فايز» زر الدور الحادي عشر حيث يسكن «عادل»، وهو الدور الأخير في البناية، يبتسم «عادل» معبرًا عن امتنانه، قبل أن ينطلق الصوت من سماعات علوية داخل المصعد:

«الله أكبر.. بسم الله...

يتفاجأ «عادل» وينظر بطريقة عفوية إلى أعلى قبل أن يقطع الحاج «فايز» والحاج «محمود» دهشته.

«.....!».

«ركبناه مع الموتور الجديد.. كان عليه عرض.. أصل الشركة الجديدة دي هايلة».

«الرحمن الرحيم...

«ده صوت مين يا حاج فايز».

«تقريبًا السديس يا حاج محمود».

«سبحان الذي...

«الله أكبر صوته حلو».

«مش عايز أقول لك يا دكتور الموتور كلفنا كام.. واتحاد العمارة ما بيقدرش في الآخر».

«......».

«عندك حق.. ده انت لو تعرف احنا واقفين م الساعة كام تعمل لنا لوحة شكر بدل اللوحة اللي مليانة مديونيات السكان».

«سخر لنا هذا وما كنا له...

«كل واحد نايم على بطنه وعايز الحاجة تجيله على الجاهز».

«لأ وبيتأمَّر كمان يا حاج».

«............».

«مقرنين...

«واتفقنا كمان إننا نركب الجهاز ده في الأسانسير الزوجي بكره أو بعده».

«وكمان هيعملوا صيانة دورية ليه».

«هو صحيح شغَّال كويس.. بس الشركة دي..».

«وإنا إلى ربنا لمنقلبون...

«ولاد حلال ويعرفوا ربنا».

«..........».

«صدق الله العظيم».

«إيه رأيك بقه يا دكتور؟».

ينظر «عادل» لكليهما قبل أن ينطق كلمته الأولى «تمام». يرفع كيس الخضر من أرضية المصعد ويهم بالخروج، يتحرك المصعد نازلًا مرة أخرى قبل أن يستطيع «عادل» النزول.

٥

«الله أكبر...

«تلاقيه البواب البهيم سحبه».

يقولها الحاج «محمود» وينظر لعادل، يومئ الأخير برأسه أن لا بأس، ويضغط الحاج «فايز» زر الدور الخامس ويعلل:

«أنزل أنا بقه يا حاج وحاسبهم انت.. بس ما تدهمش كل فلوسهم».

«سبحان...

«لأ طبعًا.. عشان أطَّمن إنهم راجعين».

«العمالة المصرية بقت حاجة وسخة والله».

«الذي سخر لنا هذا وما كنا...

«إنت عارف يا دكتور إننا دافعين ألف جنيه من جيبنا.. والراجل اللي اسمه أحمد فالح بس كل يوم والتاني يخرج يسهر مع مراته وهي لابسة الأحمر والأخضر».

«الرجولة انعدمت».

«دا لا رجولة ولا دين يقولوا كده».

«له مقر...».

يتوقف المصعد في الدور الخامس. يفتح الحاج «فايز» الباب ويقف خارج المصعد، ينظر إليهما ويقول: «تصبحوا على خير يا حجاج».. يتنبه لما قاله فيضحك، وينقل ضحكه إلى الحاج «محمود» الذي يضحك بدوره، بينما يكتفي «عادل» بابتسامة محايدة، يعلق الحاج «محمود»: «قصدك تصبحوا على خير يا حجاج ويا مقدسين عشان ما تزعلش مننا الدكتور».

ضاحكًا يكمل الحاج «فوزي»: «لا ما تقلقش.. الدكتور مننا وعلينا.. ممكن تعتبره مسلم أرثوذكس.. ولّا إيه يا دكتور؟».

يبتسم «عادل»، ويهز رأسه، قبل أن يكمل: «طب انت سمعت نكتة مِرات الشيخ اللي كان جوزها بيبسطها، ومرات القسيس اللي كان الراجل ما بيعرفش».

لا يرد «عادل» والحاج «محمود»، يكمل الحاج «فايز» غير عابئ بالرد: «بيقولك كان فيه شيخ وقسيس جيران.. مِرات الشيخ كانت كل يوم تحكي لمرات القسيس على اللي عمله معاها بالليل، ومرات القسيس تتحسر لأن جوزها مش عارف، فسألت مرات القسيس هو جوزك بيعمل كده ازاي، مرات الشيخ قالت لها كل يوم قبل ما ننام بيصلي ركعتين، راحت مرات القسيس كاتبة على السرير الإسلام هو الحل».

ينفجر الحاج «محمود» ضاحكًا. يمد كفه ضاربًا به كف «عادل». يبتسم الأخير ابتسامة محايدة. ينظر إلى يد الحاج «محمود» ويمدها، تحدث الضربة صوتًا خفيفًا.

ينطلق صوت خبط يسمعه ثلاثتهم، يعلق الحاج «فايز»: «البواب البهيم ده مش هيبطل الحركات دي.. إحنا لسه مصلحين الأسانسير.. انزلوا قبل ما يكسر الباب».

G

«الله أكبر..

«معلش عطلانك يا دكتور».

يهز «عادل» رأسه بهدوء. يسود الصمت بينهما إلا من الصوت المسجل الذي يحمل غنة مميزة. ينشغل كلاهما بالنظر إلى المؤشر العلوي الذي يشير إلى رقم الدور.

«بسم الله الرحمن الرحيم.. سبحان الذي سخر لنا هذا ومـ...

يفتح البواب باب المصعد. يباغته الحاج «محمود» معنفًا: «كل ده خبط على الباب.. العمال فين أمّال؟».

يجيب: «بيشربوا سيجارة بره».

يحيّي الحاج «محمود» «عادل»، ويتجه إلى خارج البناية. ينغلق الباب ببطء، يلمح من خلاله «عادل» الحاج «محمود» وقد خرج من باب البناية، يضع يده مانعًا انغلاق باب المصعد، يدفعه خارجًا

ببطء. يتلفت ليتأكد أن الحاج «محمود» لا يراه. ينظر إلى المصعد الزوجي فيرى أنه في الدور الثاني. يضغط زر طلب المصعد. تقتسم عيناه النظر إلى مؤشر المصعد وباب البناية. يقف المصعد الزوجي فيفتحه. يضغط زر الدور العاشر، ويضع كيس الخضر على أرضية المصعد. يتحرك المصعد ويلتفت «عادل» إلى المرآة وينظر إلى وجهه مليًّا.

بريشة مصطفى حسين

(أ)

لم تتغير شوارع الزمالك طوال السنوات الثلاث التي غاب فيها «مصطفى حسين» عنها، نفس المارة وسائس السيارات، محل الخمور الذي يجاور كافيه «سلينترو» في شارع ٢٦ يوليو. تقف السيارة الأجرة التي استقلها «مصطفى» كنوع من التغيير بدلًا من السير من منزله في وسط البلد كما اعتاد أن يقضي أغلب مشاويره.

ينظر «مصطفى» في ساعته فيجدها الرابعة والنصف عصرًا. يدرك أنه وصل مبكرًا. يفاضل بين تدخين سيجارة على الرصيف أمام مدخل «سلينترو»، لكنه يفكر مليًّا في صورته أمام «بهي فاضل» إذا ما وصل مبكرًا هو الآخر فيظن أنه لم يدخل إلى «سلينترو» خوفًا من أن يطلب مشروبًا لا يقدر أن يدفع ثمنه، أو يظن أنه ينتظر أن يدفع له «بهي» ثمن مشروبه، لذلك أدخل علبه السجائر المعدنية التي يحملها ويلف فيها لفافات تبغه بنفسه إلى جيبه، واتجه إلى «سلينترو»، لا إراديًّا يختار أن يصعد الدرج الضيق إلى الدور العلوي ليجلس منفردًا

على «البار» المُطل على الدور السفلي. ينظر إلى قائمة المشروبات ويطلب «بيرة» منكّهة غير كحولية وزجاجة مياه، ويطيل النظر إلى الواجهة الزجاجية في انتظار «بهي».

(ب)

يضع «بهي» في حسابه أن الطرق لن تكون مزدحمة خصوصًا أن اليوم السبت، وعلى الرغم من أنه يجلس في أحد فنادق «٦ أكتوبر» وموعده بعد أقل من نصف ساعة في الزمالك لم يتحرك بعد. يدرك أنه سيتأخر ما يسميه بالتأخير المسموح والذي يتراوح بين ربع إلى ثلاثة أرباع ساعة، وعلى الرغم من أنه أنهى اجتماعه في الفندق منذ عشر دقائق إلا أنه يجلس مع العميل متضاحكًا؛ يعتقد أن العلاقة الودية تكسبه مساحة أكبر من العمل، وتجعله يكتسب سمعة أوسع بين العملاء. دائمًا ما كانت مهارات الاتصال والتسويق لديه أكبر من أقرانه في كلية الفنون الجميلة بمن فيهم «مصطفى»، وعلى الرغم من أنه لم يكن يحمل أي رؤية فنية مميزة طوال فترة دراسته وبعدها إلا أنه كان مميزًا بين أقرانه بأسلوبه وطريقته، حتى في اسمه الذي لم يختره، كتبت له الأقدار أن يكون هو «البهي» الوحيد في الكلية بأسرها. في الوقت الذي كان يغمر فيه «مصطفى حسين» بتنويعات دعابته التي يظنها الأخير لزجة، فكلما كان ينطق «مصطفى» اسمه كاملًا في لحظات تعارف أو في أثناء توقيعه على لوحاته يباغته «بهي» بقوله: «شد حيلك.. أخبار اليوم مستنياك»، وهي الدعابة التي

تطورت فيما بعد، فلم تعد تحتاج لأن يذكر «مصطفى» اسمه كاملًا، فـ«بهي» طوال العام الأخير للدراسة كان يقابله سائلًا: «أخبار فلاح كفر الهنادوة إيه؟».

(أ)

يشعر «مصطفى حسين» بنوع من الألم نتيجة رغبته في التبول. ينظر في ساعته، إنها الخامسة وعشر دقائق. يركِّز قليلًا في أنه يستطيع التحامل على نفسه لتأجيل هذه الرغبة. يشغل نفسه بالنظر إلى قائمة المشروبات مجددًا. يرى التصميم الفني بامتعاض وضيق. يرى أن مثل تلك الخطوط الرخيصة والفن التطبيقي هي ما أتلفت ذوق الجمهور.

في أثناء الكلية رفض «مصطفى» أن يرسم عددًا كبيرًا من المشروعات الخاصة بالمحلات أو إعلانات المطاعم؛ يرى أن ريشته يجب أن تخلق مشروعًا فنيًا ممتدًا وباقيًا، لا يجوز أن يفرط فيه. وبالتالي لم يستطع «مصطفى» حتى بعد تخرجه بثلاث سنوات أن يصبح مثل أقرانه؛ فهو لا يمتلك سيارة، ولا يزال يعيش في الطابق الأخير من إحدى عمارات عابدين بالإيجار. يمر بأزمات مالية طاحنة تجعله يلتزم منزله؛ لأنه لا يملك ما يجعله يغامر بالنزول إلى أقرب قهوة. يرى أن هذه التجربة ستثريه. يركز أكثر في لوحاته. يرسم فتبقى لوحاته بجواره، لأنه يرى في لوحاته قطعًا نادرة غير مقلدة، فلا يعطيها لمحلات بيع «اللوحات» أو «البراويز». عرض عليه أحد أصدقائه

أن يتوسط له ببيع لوحاته في «أتيليه» بالزمالك للأجانب، فرفض «مصطفى» بشكل قاطع أن يتم التعامل مع لوحاته مثل الجلابيب والفخار والقطع الفلكلورية التي توضع في مثل تلك المحلات لجذب الأجانب أو مدعي الثقافة، ولذلك أيضًا، ومنذ أن تخرج، لم يفكر أن يزور الزمالك؛ لأن علاقته فترت بأقرانه، إلى أن هاتفه «بهي» منذ أسبوعين.

(ب)

في طريقه إلى الزمالك، تُجاوز سرعة «بهي» ١٢٠ كيلو مترًا كل ساعة. يمسك بهاتفه المحمول. يُخبر «مصطفى» أنه سيتأخر نتيجة الزحام المروري، فيجيبه الأخير أن لا بأس. يدير «بهي» أسطوانة موسيقية لهبة طوجي، ويتناول علكة نعناع. يشعر بنشوة لأن صفقته السابقة نجحت.

يصل إلى الزمالك فيضع سيارته في جراج فندق «الماريوت» القريب من «سلينترو»، ويرفض وضعها في الجراج الموجود أسفل كوبري ٢٦ يوليو؛ لرفضه أن يحمل السائس مفتاح سيارته الجديدة الفاخرة التي تتجاوز ثلاثمائة ألف جنيه. استطاع «بهي» أن يشتريها نتيجة عمله كمنسق فني لمجموعة من المؤسسات؛ وهي وظيفة مختلقة استطاع «بهي» أن يصنعها نتيجة علاقته الجيدة بمن حوله، ففي الوقت الذي عمل فيه عدد من خريجي دفعته كمهندسي ديكور، فضَّل هو أن يكون استشاريًا فنيًا، يحاول أن يقنع المؤسسة

بما يجب على مهندس الديكور فعله والطابع الفني الذي يجب أن يسير عليه.

يترجل «بهي» في هدوء وثقة ببذلته السوداء، يعبر الطريق متجهًا إلى داخل «سيلنترو»، قبل أن يخطو من الباب يرن هاتفه المحمول، ينظر فيجده أحد عملائه، يقف في موقعه خارج الباب الزجاجي ليجيب. اعتاد ألا يجيب عملاءه أمام أحد من زملائه السابقين حتى لا يعرفون سر المهنة أو ربما حتى لا يدركون أنه يستغل عبارات ومصطلحات فنية عميقة يخدع بها عملائه الذين لا يفهمون في الفن كثيرًا. تلتقي عيناه بعيني «مصطفى». يقف الأخير فيشير له «بهي» من خارج «سلينترو» أن يجلس، فينصاع لإشارة يده.

(أ)

يزداد شعور «مصطفى» بالرغبة في التبول، ويصاحبه شعور آخر بالرغبة في التبرز، ما إن يرى «بهي» خارج «سلينترو» حتى يهم واقفًا مرحبًا فيشير له الأخير أن يجلس. ينفذ «مصطفى» طلبه وهو يفكر ما إذا كان سينتظر حتى يعرف سبب هذا اللقاء الجديد ثم يستأذن للخروج إلى الحمام، خصوصًا أن «سلينترو» وأغلب المحلات المجاورة لا تحتوي على حمام، أم سيستأذنه بمجرد دخوله للذهاب إلى الحمام حتى يتثنى له وقتًا أطول للجلوس معه، خصوصًا أنه يتوقع منه صفقة مميزة مثل تلك التي أجراها معه منذ أسبوعين.

حين تلقى «مصطفى» هاتفًا من «بهي» شعر بنوع من الغرابة؛

لأن الأخير تذكَّره، كان الأخير محددًا وواضحًا وسريعًا في حديثه، سأله عن «فنه»، كان هذا هو المصطلح الذي استخدمه، وحين بدأ «مصطفى» في الإسهاب عن المرحلة الفنية والرؤية التي يحاول تحقيقها هذه الفترة في لوحاته من خلال محاولة المزج بين المعاصرة والمرحلة القبطية والإسلامية في الفن، وهي محاولة معاصرة للمزج بين فن العصور الوسطى في إيطاليا والفن المهتم بالطبوغرافيا في إيران من خلال رؤية خاصة، سأله «بهي» عن عدد اللوحات التي رسمها في هذا الاتجاه، فأجابه بأنها نحو ٢٨ لوحة، هنا جاء العرض الذي أذهل «مصطفى» حين طلب «بهي» شراءها بالكامل، وعلى الرغم من هذا الطلب الذي كان غريبًا على «مصطفى» طوال السنوات الثلاث السابقة فقد رفض في بادئ الأمر قائلًا: «إنت عارف ما ببعش لوحاتي لأتليهات»، فقال له «بهي» بأنه سيشتريها لحساب أحد المتاحف الناشئة في ماليزيا والتي تهتم بهذه التجارب، وإنهم في عجلة من أمرهم.

لأول مرة شعر «مصطفى» أن «بهي» استطاع أن يضعه في المكان والمكانة التي يطمح إليها. أتم «بهي» الصفقة بخمسين ألف جنيه، رآها «مصطفى» صفقة بخسة للوحاته، لكنه أقنع نفسه بأن المتحف حين يتم افتتاحه سيحصل على فرصة أكبر له ولفنه، كما أن خمسين ألف جنيه بالنسبة له كنز لا يقدره إلا من شاهد حياته طوال السنوات الثلاث الماضية.

لم تنقطع حيرة «مصطفى» في أثناء صعود «بهي» الدرج الخشبي.

يخشى أن يكون وقت «بهي» ضيقًا فلا يستطيع أن يجلس معه طويلًا إذا ما استأذن للخروج إلى الحمام، يقرر أن يجلس معه لدقائق قبل أن يستأذن إلى الحمام، يباغته «بهي» بعبارة: «فاكر المشروع اللي كنت عامله في التخرج؟»، يهز «مصطفى» رأسه، فيكمل «بهي»: «عندك لوحات الاستايل ده؟ أصل المتحف اللي أنا باكلمك عنه هيفتح قسم كده فبعتولي إيميل». يشتد ألم المثانة لدى «مصطفى» فيقول له: «أنا هافتكر عندي لوحات من المشروع ده؛ لأني ما بقتش ميَّال للشكل ده.. هاستأذنك أروح الحمام وأفتكر في الطريق».

(ب)

يطلب «بهي» سلاطة تونة من النادل وزجاجة مياه فوارة. يشعر أن «مصطفى» غادر المكان في الوقت المناسب الذي يسمح له بتناول وجبة خفيفة تعينه على اجتماعات اليوم التي بدأت منذ الصباح الباكر. يضع «صوص» لم يشغل باله كثيرًا في كونه على السلاطة، ويتناولها بهدوء. تنشغل يده اليسرى في فتح البريد الإلكتروني ومعرفة أخبار أصدقائه على الـ«فيس بوك».

لم يكن «بهي» يمتلك رقم محمول «مصطفى» على الرغم من أن الأخير لم يغير رقمه، على عكس الأول الذي أصبح يحمل عدة أرقام وهواتف محمولة يتجول بها، ولم يكن يعلم أيًا من أخباره طوال السنوات الثلاث الماضية، تذكره عندما طرح اسمه أحد الأصدقاء الذي يدري هوسه الفني ومدى روعة خطوطه، وكانت الصفقة مهمة

بالنسبة لـ«بهي»؛ فقد اشترطوا ألا تكون الأعمال مقلدة، وأن تتوافر فيها قيمة فنية عالية، لذلك بحث عن رقمه واستطاع الحصول عليه بصعوبة؛ إذ لم يعد أحد على علاقة به منذ ثلاث سنوات، لكنه في النهاية استطاع أن يُتم الصفقة. قبل أن يراه في «سلينترو» لم يكن يتذكر شكله بالتحديد، لكنه خمن في البداية شكله حين همَّ «مصطفى» واقفًا، واستطاع بعدها جزء من الذاكرة تذكره. يُنهي «بهي» السلاطة، ينظر في ساعته، انقضت عشر دقائق منذ خروج «مصطفى»، يرسل له رسالة قصيرة تخبره أن عليه الذهاب خلال عشر دقائق ويطالبه أن يُسرع.

(أ)

لم يعد أمام «مصطفى» سوى الذهاب إلى «الماريوت»، حين تصله رسالة من «بهي» تخبره أن عليه العودة؛ لأنه سيغادر «بهي» سيغادر خلال عشر دقائق، قبل وصول الرسالة حاول «مصطفى» البحث عن حمام، أخبره محل البصريات أنه يوجد مطعم في العمارة المجاورة لـ«سلينترو» في الدور الأول يمكنه الذهاب إليه ودخول الحمام، يصعد «مصطفى» فيجد عاملًا وموظف حراسة ضخم الجثة يسدان الباب، يخبره العامل أنه لا دخول بدون حجز مسبق، يحاول «مصطفى» الارتجال ويخبره أنه سيدخل إلى الأصدقاء في الداخل، يسأله عن اسمه فيخبره «مصطفى» أنه لا يستطيع معرفة الاسم الذي اختاروه للحجز، فيطالبه الحارس الضخم بالاتصال بالصديق

وسؤاله، يتظاهر «مصطفى» بذلك وهو يترجل إلى الأسفل، يرى أمامه سائق تاكسي أعطى وجهه للحائط الصغير الذي يحيط بالجراج الواقع أسفل كوبري ١٥ مايو وهو يتبول، يشعر بألم يعتصره وتلمح عيناه فندق «الماريوت» فيقرر التوجه له.

ما إن وصلت الرسالة إلى «مصطفى» أخذ يجري في الشارع تجاه «الماريوت»، قبل الباب الخارجي يمشي بتؤدة؛ حتى لا يشتبه فيه الحراس أو يسألونه عن وجهته أو يتعرض لموقف ينتقص من قدره الفني. ينوي أنه سيركض حين يخرج حتى يلحق بـ«بهي». يعبر البوابة الرئيسية ثم البوابة الداخلية في اتجاه الغُرف. يصعد إلى الدور الأول حيث يقع بهو الفندق، ويمشي في الممر الطويل الواصل بين الغرف والبهو المعروف بـ«عمر الخيام». العمارة الإسلامية تبهره في القصر على عكس مبنى الغُرف. يشعر بالعراقة وهو ينظر إلى السقف والمقابض والخشب واللوحات المقلدة التي تنتقص من جماليات القصر والتي شرع العمال في إزالتها ربما لتنظيفها، ينتقدها بعينيه. كانت مرَّته الثانية في الفندق، المرة الأولى حضر فرح إحدى زميلات الكلية في أثناء الدراسة، يسأل أحد العمال عن الحمام فيشير له إلى وجهته.

يدخل الحمام فيجد أحد السياح العرب خارجًا من داخل المرحاض، عامل النظافة يسحب له منديلًا ويطويه ويعطيه له. يتساءل عن مدى التلوث الذي تلحقه يد العامل بالمنديل الذي من المفترض أن ينظف أو يجفف يدي الزائر. يتناول العامل بقشيشًا في

هدوء. يشعر «مصطفى» للحظات بالشفقة تجاه العامل الذي يكبره في السن، ويقرر أنه حين يخرج من المرحاض سيعطيه بقشيشًا ربما يخفف عذاباته.

يدخل «مصطفى» المرحاض الذي يبدو مرمريًّا نظيفًا، سقفه مزخرف بعمارة إسلامية بديعة، يُغلق الباب مسرعًا ويجلس على قاعدة الحمام. ينظر في الأرض وهو يشعر بحالة من النشوة والارتياح، يصاحب هذا الارتياح ارتفاع نظرته لتأمل المكان. يرى على باب الحمام لوحة كبيرة يتضافر فيها الفن الإسلامي المعني بالطبوغرافيا بالفن القبطي الإيطالي في صورة معاصرة. يشعر أن الألوان قريبة منه، الخطوط. للحظة توقَّف عقله عن الإدراك، وللحظة أخرى لم يعد هناك مجال للشك حين لمح إمضاءه في أسفل يسار اللوحة.

(ب)

حين طرح أحد الأصدقاء اسم «مصطفى» على «بهي» أضاف أن يحذر في التعامل معه؛ لأن الأول لا يزال يظن نفسه فنانًا، وأن لوحاته أعمق من أن يراها الجمهور العادي، وأنها تحتاج متحفًا للاحتفاء بها. اقترح «بهي» على العميل، وكان فندق «الماريوت»، أن يضع لوحات أصلية ليست مقلدة، وأن تتناسب تلك اللوحات والطبيعة الفنية للفندق، يضع تصورًا لخمس وعشرين لوحة، ويوافق الفندق ويطلب أن يتم توريد الأعمال سريعًا لتواكب احتفال الفندق بمولده. يشعر

«بهي» بأزمة؛ لأنه لا يجد اللوحات التي طرحها تصوره، ولا يوجد الوقت الكافي لتنفيذ لوحات جديدة. حين أخبر «بهي» «مصطفى» بأنه يحتاج لوحات وتحفَّظ الأخير على بيع لوحاته، تذكَّر كلمة السر التي قالها صديقه بشأن المتاحف، أخبره بقصة المتحف الماليزي الناشئ. في اجتماعه اليوم طُلب منه لوحات معاصرة تناسب فندق «٦ أكتوبر»، فوجد أن لوحات «مصطفى» مضمونة ومميزة وكثيرة، لم يشترها أحد منذ فترة طويلة. يرسل «بهي» رسالة ثانية يتعجل فيها «مصطفى»؛ لأنه مرتبط بمواعيد.

(أ)

تصل رسالة إلى «مصطفى» يقرأها فيجده «بهي». يخرج مترجلًا ويفتح باب المرحاض في ذهول. يخرج من المرحاض المجاور له رجل يعتقد أنه أجنبي، يقوم عامل النظافة بدوره في عجالة فيطوي منديلين يناول الأول للأجنبي، ويليه «مصطفى». يخرج الأجنبي بينما يناول «مصطفى» بقشيشًا سخيًّا لعامل النظافة.

....

أوقات الصمت تمر ثقيلة.. تشعر بثقلها إذا قررت أن تركز سمعك لمدة دقيقة مع صوت عقرب الثواني، تكتكات لا نهائية قادمة من هذا الأحمر الذي يدور حول محوره بلا هوادة وبلا هدف كذلك، لكن اللحظات تكون أثقل حين لا تملك أن تسمع تلك التكتكات.

لذلك طأطأ «محمد البنداري» رأسه في الأرض. ينشغل بصرصور هارب فوق البلاط القديم الرديء. ينظر حوله فيجد أن مُجندًا يرمي حاجياته على الأرض ويرمي جسده على السرير العلوي المقابل له. لم يتساءل متى دخل المُجند من دون أن يلحظه، لأنه اعتاد ذلك، فصوت البيادة العسكرية فوق البلاط القديم ليست كافية لتخرجه من صممه الذي ولد به منذ ستة وعشرين عامًا. يشعر «البنداري» ببرد في عضديه يناسب ليل يناير والمنطقة النائية التي يقع فيها. يفكر أن يطلب بطانية من المجند، ويتردد خوفًا من ألا يفهمه الأخير، فيطأطئ رأسه مرة أخرى حاضنًا عضديه.

ينظر في ساعته فيجدها الثامنة والنصف وخمس دقائق. يقترب عقرب الدقائق من رقم صغير على يسار الساعة يتولى أمر تاريخ اليوم ويشير إلى ٢٧. يُكمل تركيزه مع الصرصور. يعاود النظر إلى ساعته. يُخيل إليه أن عقرب الدقائق لم يتحرك. يحاول أن يستعيد الأحداث للمرة العاشرة علّها تحرك ركود عقرب الدقائق.

يدخل «خالد» و«منى» إلى «كنتاكي» فرع «فيني» في الحادية عشرة صباحًا. لا يلحظ «البنداري» دخولهما على الإطلاق إلى أن يقتربا منه، يشير إليه خالد، تتهلل أسارير «البنداري» ويشير إلى خالد لسؤاله إن كان سبب الزيارة تناول الأطعمة. يتولى خالد مهمة ترجمة الحديث من إشارات إلى حديث شفهي منطوق لمنى، تهز رأسها أن لا. ينظر «البنداري» إلى مدير الفرع ويشير بأصابعه الخمس، يسمح له المدير بخمس دقائق، خصوصًا أن الفرع لا يشهد زحامًا خلال هذه الساعة من النهار.

يخرج «البنداري» من خلف طاولة الطلبات. يقف أمام باب المحل. يُخرج سيجارة ويبدأ في التدخين. ينظر إلى «منى» التي تعمل في محل عصير يقع في ذات الميدان، يتعجب من حضورها مبكرًا على الرغم من أن ورديتها يوم الثلاثاء تكون مسائية. لا تفهم شيئًا مما أشار به. يتولى «خالد» الترجمة. تتحدث «منى». يراقب حركة شفتيها، يلمح اسم «خالد» فيما قالته. يقول خالد: «بتقول لك نازلة معايا المظاهرة في مسجد «مصطفى محمود»». تضحك «منى» من الطريقة التي ترجم بها خالد كلمة «مصطفى محمود».

يتابع «البنداري» ضحكتها ويضحك، يضحك من دون صوت ولا يفهم سبب الضحك.

تشير «منى» إليه: «ما تيجي معانا؟»، يفهمها فيشير متسائلًا عما سيفعله وكيف سيهتف في مظاهرة وهو أخرس. تفهمه «منى» أيضًا. تشعر أنها أحرجته. تربت على كتفه. يقشعر بدنه ويبتسم. يحاول أن يغير الموضوع لأنه ارتبك لارتباكها، يشير إلى الإيشارب الذي ترتديه ويضع يده صانعًا قبلة على فمه، مشيرًا إلى أن الإيشارب الأخضر الذي تتحجب به جميل.

استطاع «خالد» أن يكتسب مهارة الحديث من خلال طول علاقته بـ«البنداري»، حيث يناديه بـ«البنداري بتاع فيني»، فقبل عامين حين جاء «خالد» ليبحث عن سكن يجاور البنك الذي يعمل فيه بنفس الميدان، استطاع «البنداري» أن يشركه في شقته الإيجار لمدة سبعة أشهر والتي تقع في الدور الخامس، يرهقهما عدم وجود مصعد، وهو ما دفع «خالد» للانتقال إلى شقة أخرى بشارع البطل أحمد عبد العزيز.

وعلى الرغم من ذلك لم تحتجْ «منى» لأن يترجم لها «خالد» إشارات «البنداري» حين سألها: «لماذا لا تحملين حقيبتك»، لكنها طلبت من «خالد» أن يترجم له جملة «في المظاهرات خليك خفيف.. ما تاخدش معاك أي حاجة مهمة».

إنها الثامنة والنصف وخمس دقائق.. يشك «البنداري» في أن الساعة لا تعمل. يدقق النظر يجد أن عقرب الثواني يتحرك بطلاقة

مثلما تحرك «خالد» و«منى» من أمام «كنتاكي». قبل أن ينطلقا طلب «خالد» «البنداري» في كلمة على انفراد، اجتذبه من ذراعه إلى داخل المحل بينما ظلت «منى» خارج المحل. يرتبك «البنداري» ويتلفت حوله ويشير إلى «خالد» ألا يبدأ في حديثه بالإشارة لأن الكلمة التي يفترض «خالد» أنها ستكون سرية سيفهمها كل من يعمل معه في الفرع.

يبتسم «خالد» ويجتذب من جيب قميص «البنداري» قلمًا ودفترًا صغيرًا. يكتب له على خلفية الدفتر: «ما تبقاش تبحلق فيها أوي كده.. باين عليك أوي». بشكل لا تلقائي يجد «البنداري» أن نظره توجه إلى حيث تقف «منى».

حين دخل بعض المراسلين الذين يعملون في إحدى القنوات القريبة من «فيني» إلى «كنتاكي» شعر «البنداري» بنوع من القلق في الوجوه التي اعتاد أن يراها على فترات. يشعر أن المظاهرات لم تسِر على ما يرام؛ يرى في وجوههم ولغتهم الجسمانية أن الضرب كان من نصيب المتظاهرين. يقرر «البنداري» أن يبقى في «كنتاكي» حتى بعد انتهاء ورديته، لربما اطمأن على «منى» و«خالد»، أو اطمأن على «منى» من «خالد». ينظر في ساعته، الثامنة والنصف وخمس دقائق.

من داخل المحل يرى «خالد» قادمًا تجاهه من دون «منى». يخرج من خلف طاولة الحساب. ينطلق نحو الباب. يصطدم بأحد الزبائن، يلتفت ويعتذر وهو لا يزال يجري نحو الباب. يهدئ «خالد»

من روعه. لا يستطيع بكل إشاراته أن يطفئ تلك النظرة في عين «البنداري». يخبره بأنهما تعرضا للضرب في القصر العيني، وأن «منى» كسرت قدمها وتم نقلها إلى إحدى المستشفيات الخاصة على كورنيش المعادي. يسأله على اسمها فلا يستطيع «خالد» أن يشرح له. يخرج «البنداري» دفتره وقلمه ويناولهما لخالد، فيكتب «النيل بدراوي». يسأله «البنداري» عن رقم الغرفة، يشير أنها ٥٠٣. بعصبية شديدة يمسك «البنداري» «خالد» من كتفه. ينطق «خالد»: «على فين»، ويتذكر أن «البنداري» لن يسمعه. يستمر «البنداري» في جره حتى يخرجان إلى الشارع الرئيسي. يشير إلى سيارة أجرة فتتوقف. يترك كتف «خالد» ويطالبه بأن يخبر التاكسي بوجهته. يفعل «خالد» ويركب «البنداري» في اتجاه المعادي.

في يومه التالي يُنهي «البنداري» ورديته، وفي الخامسة يتجه إلى شقته. يصعد السلالم ثلاثة ثلاثة. يدخل إلى منزله. يجلس قليلًا أمام الكمبيوتر المحمول الخاص به. يشعر بتوتر. يحاول أن يُهدئ من أعصابه. على أحد مواقع الفيديو يبحث عن أغنية «بره الشبابيك». يُديرها. يرفع درجة الصوت الذي لا يسمعه. يشاهد الكليب الذي دائمًا ما شدته الرسوم الرصاصية فيه. قرأ «البنداري» كلمات الأغنية سابقًا فألهمته. لا يعرف كيف ينطقها «منير». يصله نفس المعنى. ينهض يغسل وجهه سريعًا. يترك محموله ومحفظته على المكتب. يخلع رداء العمل الذي يحمل «لوجو كنتاكي»، ويكتفي بقميص خفيف. ينظر إلى سريره. يمسك بالإيشارب الأخضر الممزق الذي وضعه فوق وسادته. يتلفح بالإيشارب حول رقبته. يغلق الباب

ويهرول عدوًا على السلالم، بينما يستمر صوت «منير» مرتفعًا يصاحب خطواته.

حين وصل كان في حالة سيئة من القلق، خصوصًا أن الطريق بين الدقي والمعادي لم يكن سهلًا. يُعطي لسيارة الأجرة أكثر مما أظهر العداد. يُهرول نحو المستشفى، تناديه الممرضة وعامل الأمن، فلا يسمعهما. ينطلق نحو السلم. يصعد طابقين قبل أن يدرك أنه لا يعرف مكان الغرفة. يوقف ممرضة. يُخرج دفتره ويكتب ٥٠٣، فتشير له في اتجاه غرفة في الطابق العلوي. ينطلق. يطرق الباب ولا يسمع «ادخل»، يجد «منى» مسجية على ظهرها؛ رجلها اليسرى قابعة في الجبس، وتبدو آثار الكدمات على وجهها، وأن، والإيشارب الأخضر ممزق، يظهر شعرها الأسود الذي لا يستطيع ما تبقى من الإيشارب حجبه. يبتسم محاولًا طمأنتها. يشير إلى الإيشارب ويلقي بقبلة مؤكدًا أن الإيشارب لا يزال جميلًا. تضحك «منى». يسألها: «لماذا لم تخرج»، فتجيبه: «سأبقى الليلة للاطمئنان بأنه لا يوجد نزيف داخلي»، لا يفهم سوى «سأبقى الليلة»، فتقول «منى» وهي تشير بيديها: «نزيف داخلي»، لا يفهم أيضًا. يقترب منها. يخلع قبعة «كنتاكي» التي يلبسها. يشد الإيشارب بيديه. يربت على كتفها ويضع قبعة «كنتاكي» فوق رأسها ليحجبها. تنظر له وتبتسم متأثرة، وتقول وهي تقلده: «إن الإيشارب لا يزال جميلًا». يفهمها فيبتسم وهو يدمع قليلًا.

قضى «البنداري» ليلته أمام جهاز الكمبيوتر الذي ابتاعه ليسليه

في شقته؛ لأن التلفزيون ليس جهازًا ترفيهيًا لمن هم في حالته. يقرأ ويشاهد مجموعة من مقاطع الفيديو التي تشير لعنف الشرطة مع المتظاهرين. يقوده الرابط الإلكتروني إلى رابط آخر ثم رابط ثالث فرابع، ويقوده البحث إلى رابط يدعو للتظاهر اعتراضًا على عنف الشرطة تجاه المتظاهرين أمام نقابة الصحفيين في اليوم التالي.

يدخل مجند آخر ويعلن بإغلاقه لأنوار الغرفة أن موعد النوم قد حان. يدرك «البنداري» أنه سيقضي ليلته الثانية في نفس المكان. تستفزه خطوة إطفاء النور. يشعر أنه فقد آخر حواسه. في الظلام، ينظر إلى العقارب الفسفورية فيجدها الثامنة والنصف إلا خمس دقائق. عقرب الثواني اللعين يتظاهر بالتحرك كلما نظر له «البنداري»، لا يستطيع في ظلمته أن يستعيد مشاهد ضربه أمام نقابة الصحفيين، واقتياده إلى السيارة الميكروباص جيدًا. يتشكك أنه كان بلطجيًا أو مخبرًا من فعل ذلك، ثم يعاود التذكر فيتخيل أنه رأى اثنين اقتاداه. النقطة الأصعب التي حاول أن يتذكرها من ذاكرة عينيه هي الخاصة بتحول المظاهرة لحلبة كر وفر. يعجز تحديدًا عن معرفة تلك النقطة الفاصلة. يقنع نفسه بأنه ربما كان أحد الهتافات التي لم يسمعها هي التي صنعت ذلك التحول. الصورة الوحيدة المُلحة في ذاكرته هي ذلك السواد الذي شعر به حين عصبا عينيه. شعر وقتها أيضًا بفقدان المتبقي من حواسه.

حين أدخله أمين الشرطة إلى داخل المعسكر مع نحو تسعة آخرين وجدوا في الداخل مجموعة أخرى يبدو من هيئتهم أنهم

ضحايا مناطق أخرى؛ أعمار مختلفة ووجوه مشتركة في نفس التعبير الغاضب، فيما عدا طالبين بدا عليهما الخوف بسبب امتحان منتصف العام الدراسي في اليوم التالي. ينهاران تدريجيًا ويشكوان حالتهما للجميع. تبدو تعبيرات التعاطف على الآخرين عدا «البنداري» الذي لا يسمع القصة برمتها ولا يفهمها. يبدو الوجوم على البعض. في معسكر الأمن المركزي لا يقتحم أحد خصوصيتك. يتركون لك حق الصمت فيعتبرونه اختياريًا، لذلك لم يسأل أحد «البنداري» عن سبب صمته إلا حين دخل أمين شرطة طالبًا البطاقات الشخصية من الجميع. يُخرج الجميع بطاقاتهم ويفهم «البنداري» من تكرار المشهد أن دوره قادم. يصل إلى الأمين، فيشير إليه «البنداري» فلا يستوعب الأمين إشاراته. يصيح: «في واحد عامل فيها أخرس وما عهوش بطاقة يا فندم». يصل الصوت من خارج الغرفة: «سيبه يا متولي.. بكره ينطق لوحده». يخرج «متولي» ويُغلق الباب. يخطف وجود أصم وأبكم في المعسكر الأنظار من الطالبين. يحاول الرجال الأكبر سنًّا التواصل معه. يترجم كل منهم إشارته بمعرفته، بينما يترجمون هم أسئلتهم إلى إشارات هزلية. يسأله شاب: «بتعرف تكتب؟». يفهم «البنداري» الإشارة، فيتلفت الشاب حوله ويسأل: «طيب حد معاه ورقة وقلم؟». يجيبه أحد الواقفين بأنهم لا يحملون بطاقاتهم وأجهزتهم المحمولة حتى يمتلكون رفاهية امتلاك ورقة وقلم.

في العاشرة مساء يدخل «متولي»، يعطي البطاقات للمحتجزين، يأمرهم بالانصراف. يسأل رجل وهو ينظر: «طيب والراجل ده؟».

ينهره «متولي»، بينما يجيب ثان: «إن كنا مش عارفين اسمه هنعرف نساعده إزاي؟». يشعر الأول أن الإجابة كافية لتطهيره من فكرة ترك «البنداري». يخرج الجميع، ويدخل آخر عسكري للأمن المركزي، يغلق الأنوار. يشعر البنداري بالبرد. يحتضن «الإيشارب الأخضر» ويطأطئ رأسه ولا يستطيع النوم.

في التاسعة صباحًا، يدرك «البنداري» أن عينيه خانته وأسلمت للنوم. عرف ذلك عندما دفعه أحد عساكر الشرطة في وردية الصباح، وأشار له قائلًا: «الباشا عايزك». لا يفهم «البنداري» ويهز رأسه عرضيًّا قاصدًا لا أفهم. في حين يفهمها الشرطي أنه يرفض الخروج. يشده أمين الشرطة فيزيد شعور الخوف عند «البنداري» فيفلت معصمه الذي أمسك به. يشعر العسكري بتنمره، فيخرج. بعد دقيقتين يصدر صوت ضابط يدخل الغرفة: «يعني إيه مش عايز ييجي، طيب نروح احنا لسيادته». يجرجر في يده كرسي خشبي يصدر صريرًا مزعجًا على بلاط الأرضية. ينظر «البنداري» حاملًا وجهًا يخلو من التعبيرات لأنه لا يفهم ما يحدث. يجلس الضابط على كرسيه في مقابلة حافة السرير التي يجلس عليها «البنداري». يسأل بلهجة حازمة: «وردية بالليل ما سبتكش ليه؟». يرفع «البنداري» كتفيه ويشير بيده فيقطعه الضابط صافعًا إياه صفعة أسقطته على البلاط وهو يقول: «لما تكلمني.. يبقى تقوم تقف». يتحرج أحد الأمناء من إخباره بأنه قد يكون «أصم وأبكم». يقف «البنداري» على قدميه ويستمر في الإشارة. يخرج الضابط سيجارة ويشعلها، ويقول لأمينه وهو ينظر إلى «البنداري» نظرة صارمة: «هم الخرس لما بينضربوا يا عبد التواب

بيقولوا آي زينا ولا ما بيقولوش؟!». يجيبه «عبد التواب»: «إللي تشوفه سعادتك يا باشا». يشير الضابط برأسه لـ«عبد التواب»، فيتجه الأخير نحو «البنداري» يضربه على وجهه. يضع «البنداري» وجهه بين يديه محاولًا تفادي الضرب. حين تنتقل المعركة إلى بطنه وصدره يتقنفذ ليحمي ما يقدر عليه ويحاول قدر الإمكان ألا يسقط. يسقط إيشاربه الأخضر. تدوسه أقدام «عبد التواب» وزميله. ينحني «البنداري» محاولًا التقاط الإيشارب الأخضر فتدوسه الأقدام. يطفئ الضابط سيجارته. ويخرج يسأله الأمين قبل أن يصل الباب عما يفعله. يجيب: «خلوه لوردية بالليل تتصرف معاه». في مستوى نظر «البنداري» لم يكن هناك سوى المتبقي من السيجارة، وأحذية جلدية غليظة، ثم ظلام.

أمام الباب الخارجي لمعسكر الأمن المركزي يقف «البنداري». ينظر في ساعته. يشعر للمرة الأولى أنها جاوزت الثامنة والنصف إلا خمس دقائق. يندهش من أن الوقت يجري سريعًا وأنها التاسعة والربع. ينظر لأعلى فلا يرى أي لافتة على باب معسكر الأمن المركزي ولا يدري موقعه بالتبعية. يقرر أن يمشي مع اتجاه السيارات الأكثر عددًا؛ لأنها ربما تتجه إلى داخل المدينة. يقف بجواره سائق سيارة أجرة، يميل برأسه من داخل السيارة ويسأله: «رايح على فين يا بيه؟». لا يجيبه «البنداري» لأنه مل تكرار مشهد عدم الفهم، ويسير في نفس اتجاه السيارة. في طريقه الطويل من «الهايكستب» إلى سور الكلية الحربية يحاول أن يفسر سبب إطلاق سراحه مع الوردية الليلية. في الثامنة والنصف إلا خمس دقائق دخل «متولي»

وقال بصوت عالٍ: «يا فندم لسه هنا. وشكل «عاصم بيه» اتسلى عليه الصبح». أجابه الصوت: «طيب ارميه على الطريق.. ما تخلناش نلبس مصيبة حد تاني».

يجلس البنداري في حافلة حكومية صغيرة تتحرك من أمام الكلية الحربية إلى رمسيس. في الحادية عشرة مساء من يوم الخميس لم يكن ركاب الحافلة كثر كما اعتاد «البنداري» على يوم الخميس. يجلس بجوار النافذة. ينظر إلى أنوار الطريق. والنسخة المقلدة من تمثال رمسيس التي تقف في منتصف الطريق. يضع رجل عجوز يده على قدميه فيتنبه «البنداري» ويظن الرجل أنه قطعه من شروده فيعتذر. ينظر إلى وجهه ويديه اللذين يبدو عليهما علامات الضرب والإصابة. يسأله: «مالك يا ابني؟». يصمت «البنداري» فيظنه الرجل حزينًا لا يريد الرد. ينظر إلى بعض نقاط الدم التي لوثت الإيشارب الأخضر. يبل طرف قميصه بلعابه ويحاول أن يمحو آثار الدم.

يصحو «البنداري» منهكًا في اليوم التالي. يعتقد أن صلاة الجمعة فاتته. ينظر إلى ساعته فيتأكد من ذلك. يستحم «البنداري». يرتدي قميصه وبنطاله. يقف على باب شقته ويتذكر أنه نسي شيئًا ما. يعود واضعًا الإيشارب الأخضر حول رقبته. ينزل إلى الشارع يمشي على قدميه قبل أن يجد جموع متظاهرين فوق كوبري قصر النيل. ينظر إليهم فلا يدرك بماذا يهتفون، لكنه يقرر للمرة الأولى أن يفتح حنجرته صارخًا. تخرج آهته غير مفهومة وغير مناسبة لسياق الهتاف. ينظر له بعض المحيطين به، لا يأبه بهم «البنداري» ويكمل فتح فمه ليخرج صوتًا صارخًا.

ضمير الغائب

هو.. عاشق الموسيقى التصويرية.. الذي دائمًا ما وضعها في أذنه في أوقات راحته من العمل، تُذكره النغمات بوقع المشهد.. هنا يسقط «في» البطل قتيلًا حين تحدى عشرات الضباط رافضًا أن يزيل القناع الذي يخفي وجهه.. وهنا يعود البطل «ماكسيماليان» إلى قصر عمه الفرنسي الذي قضى فيه أجمل سنوات عمره؛ ليلتقط له صورًا لاستقطاب مشترٍ. يشعر بالحنين مع كل كرسي وكل ركن يصوره في القصر.. وهنا يركض البطل «جمال» محاولًا اللحاق بالقطار الذي يحمل حبيبته إلى المدينة ليبدأ بعدها رحلته في البحث عنها.. وهنا تكتشف زوجة المخرج «جويدو» أنه يمتهن ذكرياتهما مع الفتاة التي يختبرها لأداء أحد الأدوار.. وهنا يحاول «وول إي» الروبوت القديم أن يجذب نظر حبيبته.. يتخيل دائمًا أن مشاهد مهمة في حياته تحتاج إلى وجود خلفية موسيقية.. ينتظر أن تنبعث تلك الموسيقى وقتما يريد.

هي.. التي أحبت الموسيقى التصويرية بسببه.. والتي تهوى

رؤية الأفلام المصرية القديمة، تهوى التفاصيل البسيطة التي تتمنى لو كانت عاشتها أو أنها لا تزال في الوطن الآن.. التفاصيل التي لا تجاوز فستان «سعاد حسني» عندما لعبت دور «مديحة» في «شباب مجنون جدًّا»، أو ابتسامة «حسن فايق» وهو يبارك لولده «كمال الشناوي» أنه استطاع أن يشتري «بار» في منزله في «سكر هانم»، أو أن تمتلك القدرة وقت أن كانت طالبة في الجامعة أن تزور منزل صديقها ليستذكرا دروسهما مثلما رأت في «الحفيد»، أو أن تحضر استعراضًا تتراقص فيه الفتيات من خلف «سامية جمال»، أو أن ترى صعوبة في أن يقطع «محمد عبد المطلب» طريقه من حي السيدة إلى الحسين بدلًا مما يفعله في الطريق من التجمع الخامس وحتى حدائق الأهرام. تتمنى دائمًا أن تصبح الحياة المزدحمة الملونة أكثر هدوءًا، يكسوها اللونان الأبيض والأسود. تتمنى أن تركض بفستان في إحدى الحدائق وهي ذاهبة للقائه.

هو.. الخطيب العاشق.. يحاول أن يتغلب على مشكلات الحياة اليومية. رسالتها على محموله التي تخبره فيها أن غرفة النوم التي شاهداها بالأمس وأعجبتهما لم تعجب والدتها. يحاول أن يبحث عن موسيقى مناسبة تصلح بأن تكون خلفية لهذا المشهد. لا يجد في المشهد أي مشاعر يمكن أن تترجمها الموسيقى، ولا حتى الموسيقى الهزلية المصاحبة للبطل العاشق البائس في أفلام الكوميديا الرومانسية. يرى أن هذه الفترة قصيرة، يمكنه أن يتحملها إلى أن يفوز بها، فيستطيع أن يخلق الحالة السينمائية المناسبة لهما، والتي تتصاعد فيها الموسيقى الكونية كيفما يريد.

هي.. الخطيبة الحالمة بهذا العالم الذي دائمًا ما رسمه لها. تبعث إليه، بعد رسالتها عن أمها التي تعلم أنها ستخرجه من هذا العالم الحالم، رسالة على محموله تقول فيها: «بيت صغير فوق جزيرة لوحدنا». تنقله الجملة إلى الخضرة الواسعة التي تجلس فيها «سعاد حسني». تسرح هي أيضًا في وقع الجملة عليه. تتداعى أفكارها بشأن القبلة التي ستحيل الظلام إلى بمبي. تبتسم. تتأكد أنها أمور عارضة ستزول قبل أن تخلق جزيرتها وسط عالمه السحري.

هو.. الضمير الغائب الذي كانت تراه دائمًا متكلمًا.. حتى وإن لم يذكر «أنا»؛ فقد كانت مستترة بين إيقاع الجملة، حاضرة في معناها.. قال إنه سيجعلها أكثر سعادة بعد زواجهما، وإنه لن يبيت ليلة من دون أن يقبل رأسها، ولن يسمح لنفسه بأن يختلفا أو يدب الخصام بينهما، وإنه سيضع يوميًّا جملة حالمة في ورقة صغيرة ليلصقها بحلية مغناطيسية على شكل عروسين تستقر على واجهة الثلاجة؛ لتراها صباحًا وقت أن تفتح عينيها وتتجه إلى هناك.

هي.. ضمير الغائب الذي كان متكلمًا دومًا. قالت له إنها ستتحمله مثلما تحملت «نجاة» «صالح سليم» حين تراه عصبيًّا، أو مضغوطًا بفعل روتين الحياة اليومي. أضافت ضاحكة بأنها ستحبه أكثر من «روي»، وأنها لن تتهاون في جعل هذه المملكة ممكنة مهما كانت الظروف. تذكره بأن تلك الظروف أفضل حالًا من ظروف «أبو العلا» في «الزوجة الثانية». تقرر أن ترد على رسائله اليومية على الثلاجة بقبلات حقيقية تقبل بها الورق مثلما فعلت «هند رستم» في «إشاعة حب» فتطبع أحمر الشفاه على الورق.

هو.. الذي ألقى الحلية المغناطيسية في سلة المهملات بعد خلافهما الأول؛ حتى لا يضطر إلى أن يبدأ بمصالحتها، أو يكون مجبرًا أن يضع لها جملة مثل التي اعتاد أن يضعها في الشهر الأول لزواجهما. تستقر الحلية في السلة، فيظلان صامتين.. لا موسيقى تملأ هذا الصوت سوى صوت التلفاز، وذبابة صغيرة بقيت من الصباح تحوم حول الضوء مصدرة طنينًا واضحًا له.

هي.. التي لم تلاحظ أي غياب للعروسين اللذين يستقران على واجهة الثلاجة بمثبت مغناطيسي، ولم تلتفت إلى أن تلك الحلية اختفت. تحمل كيس المهملات من داخل المطبخ حيث استقر العروسان، وتخرجه إلى خارج الشقة كما تفعل يوميًا ليأخذه عامل القمامة صباحًا. تجلس معه في غرفة المعيشة التي أظلموها فلا يضيؤها إلا التلفاز الذي يشاهدانه منبعثًا منه برنامجًا سخيفًا، وذبابة تحوم في الغرفة حول وجه المذيعة.

قبيل الزفاف بنحو أسبوع

في حي دار السلام، حيث أسكن، لا يمكن أن ترى شابًا يحيط فتاته بذراعيه، بينما تحتضن هي خصره مثلما يفعل الشابان أمامي في أثناء نزولهما على السلم الكهربي في أحد المولات التجارية الكبرى. يخرجان معًا في اتجاه أحد الأبواب الرئيسية للمول، وتتحرك رقبتي معهما، بينما أكمل طريقي قاصدة الدور العلوي، وعيناي تتفحصان المكان بشيء من الدهشة والحسرة. يرمقني الناس أيضًا. تختلف هيئتي عن هيئاتهم كثيرًا، وتبدو ألوان صبغات شعور النساء أكثر دقة من تلك التي أصنعها بماء الأكسجين. أقنع نفسي أنها ساعات تفصلني عن تعديل الوضع بعد أن تصنع خالتي الحناء البنية غدًا؛ استعدادًا لزفافي نهاية الأسبوع.

في حي دار السلام، حيث أسكن، لا يمكن أن تنبهر أبدًا بالموسيقى الغربية التي تنبعث من أرجاء المول. تبدو باهتة بلا روح أو إيقاع. وعدني أخي «خالد» أن يتفق مع «دي جي» مشهور لإحياء ليلة الحناء، ومع فرقة غنائية يعتبرها مفاجأة، بينما راهنه «محمود» زوجي - على

اعتبار ما سيكون ـ أن فرقته في الفرح ستكون أفضل وأكثر صخبًا، وأنها ـ أي الفرقة ـ ستشعل الفرح.

في حي دار السلام، حيث أسكن، لا وجود لمول مثل هذا الذي يعتبر الأكبر في القاهرة برمتها. لا يبهرني المول لأنها ليست المرة الأولى التي أدخله فيها، زرته ثلاث مرات مع «محمود» واقتصرت زياراتنا على جولة خارجية لم نقترب فيها من محلات الملابس والأطعمة على حد سواء. قال لي في الزيارة الأولى: «الناس هنا بتشتري الهدوم بالـ«كريدت كارد» لأنها بتوصل ألوفات». وفي الثانية مُنعنا من الدخول بسبب الأمن؛ إذ كان أول أيام عيد الفطر، وقتها قال الأمن لـ«محمود»: «العيد مخصص للعائلات بس»، حاول محمود الشجار مع رجل الأمن، فمنعته خشية أن تصبح صورتنا أسوأ أمام العامة. يشاهد «محمود» شابًا وفتاة في سيارتهما ينزلان الجراج فيبرطم بحديث يتعلق بالكوسة، وأنه لن يطأ هذا المكان مرة أخرى. أما المرة الثالثة، فقد فاجأني بدخول السينما لأنه يوم ميلادي، دفع يومها ما يزيد على مائة جنيه بين تذاكر السينما وعبوات الفيشار وعلب الزجاجات الغازية، ولم يلمس يدي كثيرًا كما اعتاد أن يفعل في سينما وسط البلد، وبررت الأمر بأنه قد يخشى أمن السينما في هذا المكان، على الرغم من أن فتاة قد وضعت رأسها بالكامل على كتف شاب في الصفوف الأمامية. لم أحاول أن أمسك يديه كثيرًا حتى لا يكون تصوري عن الأمن صحيحًا فتسوء صورتنا أمام العامة.

في حي دار السلام، حيث أسكن، لن تخاف أن تسوء صورتك أمام العامة؛ فالمنازل جميعها مفتوحة متلاصقة، جارنا «عبد الملاك» يصف زوجته بأنها عاهرة في مدخل العمارة، بينما تنادي زوجته على ولدهما «هاني» من الشباك واصفة إياه بأنه ابن زانية، وهو ما كان يضعني دائمًا في حيرة من أن تعترف «أم هاني» بذلك علنًا كلما احتاجت الصبي. أحافظ على صورتي خارج الحدود الجغرافية لحي دار السلام، صحيح أنني لم أكن أدعي في أثناء دراستي بمعهد التعاون بالمنيرة أنني من سكان المعادي؛ لأن أحدًا لن يصدقني، إلا أنني لم أخبرهم أيضًا أنني أسكن أعلى ورشة خراطة، حيث يصر صاحبها على إخراج أصوات الشخير من أنفه كلما تيسر ذلك. أضع آمالًا بأن يتيسر الحال، وأن المؤهل قد يساعدني. أعمل في مكتب لكتابة الرسائل العلمية بعد التخرج، ويطلب «محمود» الذي يعمل في ورشة الموبيليا الزواج بي، فيوافق أبي، يقتنع بأن «محمود» سيفيده بورشته في أن يحصل على الأثاث أرخص وأفضل. يعلن عقب قراءة الفاتحة وخروج «محمود» من منزلنا: «ما هو مش هيغش في عفش بيته يعني».

في حي دار السلام، حيث أسكن، لن تجد قطعتي «لانجيري» كاللتين أمسكهما يصل سعرهما إلى ٩٠٠ جنيه؛ لأن إيجار فستان الزفاف يجاوز ثلث المبلغ بقليل. أنظر إليهما فيعجبانني. أشعر بأنهما مختلفتان عما ابتاعته لي والدتي من «التوحيد والنور»؛ حيث لا مجال لتلك الألوان الأكثر دقة في صباغتها، والاهتمام بالمنمنمات الصغيرة والتطريز الذي يجعلهما تستحقان الإتقان. لم أكن أنوي أن أدخل

هذا المحل تحديدًا، لكن الفضول دفعني، وخمسمائة جنيه أعطاني والدي إياها بعد أن أتممت مشترياتي كلها، قال إنها نقطة فرحي وأن أشتري بها ما أريد أو أدخرها لشهر العسل. توجهت إلى المول في محاولة مني لشراء شيء مما يقتنيه رواد المول. انحصر تفكيري في الطريق بين بلوزة وتنورة لشهر العسل، أو قميص نوم لليلة الدخلة. راقني الاختيار الأخير. دخلت ثالث محل أصادفه في تمشيتي لبيع «اللانجيري». وقفت أمام واجهته عشر دقائق كاملة، تتبعني فتاة تعمل بالمحل نحو القطعتين اللتين أمسكهما، بينما يجلس رجل في منتصف العقد الرابع عند الكاشير. تجيب الفتاة من دون أن أسألها: «دول كولكشن سمر ٢٠١٠، لسه نازلين حالًا». أسألها عن سبب ارتفاع سعريهما فتجيب: «دول نفس الكولكشن بتاع الفرع الرئيسي في فرنسا».

في حي دار السلام، حيث أسكن، لا يمكنك أن تغامر بقياس حمالة صدر وملابس داخلية يقارب سعرها الألف جنيه، لكنني قررت أن أخوض التجربة إلى النهاية. أقف في البروفة، وأتجرد من ملابسي. أكتشف أن بطني ليس مشدودًا كالفتاة التي ترتدي نفس القطعة في الملصق الإعلاني بالمحل. أحاول غلق حمالة الصدر بينما أسمع صوت الفتاة خارج المحل تسألني: «كويس ولا أجيب لحضرتك الأكبر؟». أشكرها. أرفع صدري داخل الحمالة وأعدِّل من وضعه، أتأكد من أن اللون الأحمر القاني يجعل صدري رائعًا، التطريز أيضًا متداخل في صورة جميلة. تضايقني حلية بلاستيكية صغيرة وبارزة تقع في منتصف حمالة الصدر تمامًا. أخلعه فأجدها

مثبتة بزر معدني صغير من الخلف. أرتدي الحمالة مرة أخرى، أراها أجمل بوجود تلك الحلية المعدنية. أخشى أن أسأل الفتاة عن وجود حمالة أخرى بدون تلك الحلية الصغيرة فتسوء صورتي أمامها، لا بد أن الموضة الفرنسية كذلك. أتأكد من ذلك عندما أجد نفس الحلية في منتصف الجزء العلوي من القطعة التحتية من «اللانجيري»، تحديدًا وسط خط التطريز الثابت في المؤخرة. ألتفت، تبدو مؤخرتي جيدة في هذا اللون الأحمر القاني الشفاف بعض الشيء. كانت الفتاة قد رفضت إعطائي القطعة التحتية وقالت كلمة بالإنجليزية لم أفهمها، ترجمتها لي بأنها قواعد السلامة الشخصية، وأنني لا يجوز أن أقيس القطعة التحتية إلا إن كنت أنوي شراءها فوافقت.

في حي دار السلام، حيث أسكن، لا يشترط أن تكون لصًّا بالضرورة، تكفي الفهلوة للحصول على ما تريد. سيستعين أبي بـ«عادل» حتى يمكنه من سحب وصلة كهرباء عمومية لإنارة عناقيد الإضاءة الملونة من دون أن يكلفه ذلك قرشًا واحدًا، وستعتمد أمي على جارتها في طهو بعض الأطعمة عندها بحجة أن موقدها لن يكفي جميع أواني الطهو، لكن أمي ترغب في الحقيقة في توفير أنبوبة البوتاجاز. أرتدي ملابسي من دون أن أخلع الملابس الداخلية التي اخترتها. أترك القديمة في غرفة القياس. أفتح محفظتي وأنظر فيها. تتبعني الفتاة عند الكاشير ويقف الرجل الأربعيني مرحبًا: «خلاص هتاخديهم يا فندم؟». بالقرب من الباب أنظر إليه بلهجة حادة: «بص بقه.. أنا مش هاجري.. أنا هاطلع من المحل ده بمنتهى الهدوء؛ لأنك ببساطة لو فكرت تقرب ناحيتي خطوة هاصرخ وأقول إنك فتحت

عليَّ البروفة وأنا باغيَّر، ولو قلت عليَّ حرامية هاقول إنك راجل وسخ بصيت عليَّ، وشوف بقه صورة محلكم في المول هتبقى عاملة ازاي».. يصمت الرجل ذهولًا فأكمل محذرة: «ده غير إن معييش شنطة عشان تقول إني سرقت فيها حاجة، ومش معقول فيه حد هيقلعني بلوزتي عشان يتأكد أنا سارقة السوتيان ده من عندكم ولَّا لأ». تحاول الفتاة التدخل متحدثة فيشير إليها بيديه أن تصمت. أضيف: «أهو كده عين العقل، كل واحد من طريق ويا دار ما دخلك شر».

في حي دار السلام، حيث أسكن، يمكنك أن تكون لصًّا طليقًا فقط؛ لأن الوقوع في أيدي سكان المنطقة يكلفك كثيرًا. لحظة سكوت تمر قبل أن أخرج من الباب. يعجبني ما حققته من انتصار، لكن ما يعجبني أكثر أن صورتي لم تسؤ أمام أحد. أخرج من باب المحل فتنطلق صافرات إنذار عالية، مصدرها قائمين معدنيين على جانبي الباب، أشعر بالتوتر، ينطلق ناحيتي اثنان من موظفي الأمن، أحاول أن أبدو طبيعية، أهرول فأتعثر، أسمع الفتاة من بين صافرات الإنذار تقول: «ما شالتش الـ«سيكروتي بيس» اللي في الهدوم». لا أفهم حقًّا ما تقوله، لكنني أنطلق، أحاول التخلص من جسم الجريمة فألقي بالمحفظة في سلة المهملات، أنتبه إلى أنني أرتدي جسم الجريمة، أنظر إلى المحفظة في سلة المهملات المعدنية، رجال الأمن يجرون ناحيتي والرجل الأربعيني يشير بإصبعه تجاهي، أجري مسرعة، أصدم شابًّا وفتاة يمشيان معًا، أتعثر، وفي الأفق ألمح الأمن يغلق الباب الكهربي للمول.

تين شوكي

«المكان الذي لم تعتاده قدماك تحسَّسه». كانت هذه هي الحكمة التي تعلمها «صلاح» حين انتقل من وحشة الصحراء حيث عاش بالقرب من «العلمين» ليعمل في القاهرة، قالها له الحاج «عبد الشافي» الذي يناديه بـ«أبي الحاج» حين عمل معه في بيع الخضر والفاكهة وقت أن كان في الثالثة عشرة من عمره، وبعد أربع سنوات من هذه الحكمة كررها له الحاج «عبد الشافي» حين صارحه «صلاح» برغبته في الانفصال وشراء عربة لبيع الفاكهة، تحمل العبارة بين طياتها هذه المرة توجيهًا صريحًا لـ«صلاح» بألا يبقى في حي العجوزة الذي عرفه لمدة أربع سنوات، فلن ينصحه الحاج «عبد الشافي» بخبرته عن المكان الذي لم يعتاده إلا وهو يوجهه بالابتعاد. يقرر «صلاح» الانتقال إلى مصر الجديدة، فهو حي كما أخبره البعض مرموق، سكانه يأكلون الفاكهة مهما كان سعرها، ولن يجد بها سفارات أو هيئات تجعله على خلاف مع الشرطة مثل أحياء المعادي والزمالك والمهندسين.

يدفع عربته التي يحمل عليها التين الشوكي، فما تبقى مما ادخره لا يكفيه أن يختار فاكهة أغلى سعرًا، كما أن طريقة البيع اليومي في التين الشوكي ستكفل له في هذه المرحلة مالًا يوميًّا يوفر قوت يومه ويعطيه فائضًا يدفع به باقي أقساط العربة. يقف بعربته أمام كلية البنات بجوار محل عصير «أبو غريب» الشهير، يجد أن زبائن محل العصير قد يدفعون البعض لشراء بضاعته، أو بعض الطلبة الذين يمارسون هوايات صيفية أو تدريبات سباحة قد يقبلون على عربته.

«يا أحلى من المانجة». يطلق «صلاح» صيحته كل فترة ليجذب إليه الانتباه. يرش بعض الماء الذي حصل عليه من المسجد القريب على التين ليزداد نضارة من ناحية ويحافظ على رطوبته من ناحية أخرى. يلتف حوله بعض الطلبة ويترجل شابان من سيارتهما لشراء بعض التين الشوكي. يستطيع «صلاح» أن يحقق هدفه المنشود ببيع بضاعته بالكامل. يدفع عربته بعد العشاء إلى محل الفرارجي القريب حيث يسمح له صاحب المحل بإبقاء عربته، بينما يتوجه «صلاح» للنوم في أحد الجراجات الذي يعمل فيه أحد أبناء منطقته في منطقة ألماظة.

يدفع «صلاح» عربته المحملة بالتين الشوكي إلى موقعها الأثير أمام محل العصير. يضع عمال المحل الذين يقومون بتوصيل العصائر إلى السيارات حجرًا كبيرًا أمام الرصيف المواجه للمحل، بالإضافة إلى سلتي مهملات كبيرتين تسدان المساحة التي تكفي عربة «صلاح» للوقوف فيها. يستأذن «صلاح» أحد عمال المحل

بإزالة الحجر، فيخبره بأن عليه استئذان الحاج «أبو غريب» من داخل المحل. يترجل «صلاح» إلى داخل المحل، إنه العالم الذي يحلم به «صلاح»، الفاصل الرخامي الذي يقف وراءه عامل العصير حيث يتراص أمامه الموز والكيوي والأناناس والخوخ والمانجو، ومن طاقة صغيرة تقع خلف عامل العصير يلمح العمال يقومون بصنع «الكوكتيلات» المختلفة. يشير له أحد العمال: «الحاج هناك أهو». يجلس الحاج «أبو غريب» خلف مكتب خشبي لتجميع حصيلة الطلبات (الكاشير). يستأذنه «صلاح» في هدوء شديد حول إزالة الحجر الضخم وإتاحة مساحة له لبيع التين الشوكي، إلا أن الحاج يرفض متعللًا بباب الرزق الذي لا يمكن سده بعربة تين شوكي، ثم يضيف بأن المحل يصنع عصير التين الشوكي فلا حاجة لأهالي المنطقة بعربته. يحاول «صلاح» أن يخبر الحاج «أبو غريب» أن أهالي المنطقة تجاوبوا مع بضاعته بالأمس، إلا أن الحاج ينشغل مع أحد الزبائن فيما يدفعه من أموال وينهي الحديث مع «صلاح» متعللًا بانشغاله، ويخبره بأن كلمته واحدة لا تتغير.

يخرج «صلاح» مسرعًا بفعل الأزمة المرورية التي تسببها عربته؛ إذ تحتل عربته نصف الطريق الجانبي الذي لا يتسع إلا لسيارتين. تقف فتاتان وتطلبان منه بضع حبات من التين الشوكي، يطالبهما بالانتظار حتى يدفع العربة إلى مكان آخر. ينظر «صلاح» حوله فلا يجد موقعًا شاغرًا لعربته. تطالبه الفتيات بالإسراع. ينظر إلى الرصيف الذي يلي الطريق الذي سده الحاج «أبو غريب» بالحجر. يسحب عربته، ويحاول ببنيته الهزيلة أن يرفع السيارة فوق الرصيف،

يدفعها من الخلف ويسحبها من الأمام ويختار جزءًا منخفضًا من الرصيف، تنجح محاولته لتستقر عربته فوق الرصيف أمام المحل مباشرة. يقرر وهو يحمل السكين الصغيرة التي يقطع بها التين الشوكي للفتاتين أنه سيبيت بجوار العربة ليلًا حتى لا يصادف تلك المشكلة غدًا مع الحاج «أبو غريب». يشعر بشوكة تخترق إبهامه على الرغم من ارتدائه لقفاز خفيف. يظهر الألم على وجهه فتتضاحك الفتاتان، يناولهما التين الشوكي وهو يقول: «مفيش حاجة تقدر على شوك التين»، في إشارة إلى قفازه الواهي، يشرح لهما أن مسك التين الشوكي يحتاج إلى مهارة، وأنه يجب أن يكون بأطراف الأصابع وليس براحة اليد، وأنه مهما ازدادت مهارة البائع فهذا لا يعفيه من الإصابة دائمًا.

يخرج الحاج «أبو غريب» من وراء مكتبه، ويقف في واجهة الباب وهو يأمر «صلاح» بالابتعاد عن الرصيف. يرد عليه صلاح بثقة أنه يقف في رصيف الحكومة، وأنه ترك له الجزء المواجه للرصيف إكرامًا لشيبته. يتضايق العمال الذين يحاولون أن يُبدوا ولاءً للحاج فيندفعون تجاه «صلاح» ويحاولون الاشتباك به، إلا أنه يصرخ فيهم بأنه ليس من الرجولة التكاثر عليه، لا يهتمون بتلك الشعارات التي تحمل فروسية، ويوجه له أكثر العمال حمية ومزايدة ورغبة في إبهار الحاج تهديدًا صريحًا بإزالة عربته، وإلا أزالوها له وأزالوه شخصيًا من الوجود. يعلم «صلاح» أن الأرض التي لا يعرفها يجب أن يتحسَّسها، لكنه يدرك بحكم خبرة الزمان أن التاجر الذي تنكسر شوكته يظل هذا العار ملاصقًا له، وتظل ذكرى

الخناقة التي خسر فيها، أو التي أذعن فيها من كلمة، وصمة تلاحقه، وتجبر البقية على التجرؤ عليه أينما ذهب، لذلك يجيب محاولًا أن يثبت نظراته في عين ذلك المزايد بأنه لن يستطيع عمل شيء له، وأنه مستعد للتفاوض على المساحة المواجهة للرصيف مقابل نزول عربته من الرصيف. يشعر عامل آخر أنه يستطيع أن يحصل على شرف الضربة الأولى وليس مجرد التهديد، يدفع الشاب الذي يسقط، فيبادر ثلاثة بالاشتباك معه، بينما ينشغل الأول ـ الذي دفعه ـ بدفع عربة «صلاح» التي تنقلب على الرصيف لتقع بضاعته بالكامل على الأرض، حينها يتركه الثلاثة من هول صدمته بسقوط بضاعته، ويقول الحاج «أبو غريب» جملته من خلفية المشهد بحزم: «عشر دقايق وما شفش وشك هنا». ينظر صلاح إلى «فوارغ» أو القشر الذي باعه لأربع حبات فقط للفتاتين، بينما بقية محصوله الكفيل بسد قوته وأقساطه، قد اختلط بعضه ببعض وبوحل الأرض. يجري منحنيًا وكأنه يزحف على الأرض بجوار بضاعته، تنساب دمعة منه، وبحركة لا إرادية يمسك محصوله الذي فسد تمامًا، ويبدأ في إلقائه على المحل. يختفي الباعة من ضرباته فيصاب اثنان بالشوك الذي يملأ التين. يداري الحاج «أبو غريب» وجهه بيده فتصاب يده، يركض الزبائن من داخل المحل، بينما تنز يدا «صلاح» بدماء بفعل الشوك الذي يمسكه براحتي يده، تتلوث حبات التين بدماء «صلاح» وتستقر إحداها في جبين الحاج «أبو غريب»، يصرخ الأخير من الألم وتختلط دماء الحاج «أبو غريب» بدماء «صلاح» الذي يستمر بالإلقاء وهو ينعتهم بأبناء الكلب.

قداس الأحد

(١)

يمسك «علاء عبد التواب» محموله ويتأكد أن فلاش الكاميرا الخاصة به مغلق، يقف في أحد أركان كنيسة «المرعشلي» بالزمالك، تتدلى يده الممسكة بالمحمول حتى لا يظهر أنه يصور قداس الأحد داخل الكنيسة، تساعده شمس الظهيرة والإضاءة الداخلية على التقاط صور جيدة لرجل يضع قناعًا طبيًّا فوق فمه وأنفه، يميل على أذن «سامح طارق» ويهمس: «ستصبح صورة جيدة في موضوعي الصحفي، ولن تجدها في أي صحيفة أخرى». يتلفت «سامح» بعينيه في عملية مسح سريعة للمصلين ويرد: «أعتقد أنك الصحفي الوحيد الذي فكرت في حضور أول قداس بعد ظهور حالات إنفلونزا الخنازير في مبنى طلاب الجامعة الأمريكية». يعقب «علاء»: «شكرًا لأنك ساعدتني.. لولاك لم أستطع الدخول والوقوف بهذه الثقة».

يعاود «علاء» عمله، تتابع اللقطات، يهمس «سامح»: «علاء..

الـ«شاتر» (غالق العدسات) يصدر صوتًا». يرد «علاء» وهو لا يزال مكملًا عمله: «الصوت غير ملحوظ بسبب الترانيم.. ثم إن أمرنا إذا انكشف سيكون سهلًا عليك أن تشرح للقس أنني لا أستهدف انتقادكم». يعلق «سامح»: «هذه الكنيسة ليست لطائفة الأرمن». يعلق «علاء»: «وإن يكن اختلاف الطائفة سيجعل القس يفهم الأمر لو تم اكتشافنا». يصمت «سامح» هنيهة وهو يتفحص وجوه المصلين قبل أن يقول: «لكنني مسلم يا علاء». يضحك «علاء» ساخرًا: «طوال عمري أقول بأنك مسلم أرثوذكس». تتصلب تعبيرات وجه «سامح» بجدية: «أنا فعلًا مسلم.. هل رأيت من قبل «طارق» مسيحي؟». يتجهم «علاء» ولا يرد. يفكر بأنه كان يرى أن كل الأسماء التي تُصاغ على وزن فاعل يمكنها أن تكون مسيحية، لكنه يدرك أنه لا يوجد «طارق» قبطيًّا. يضيف «سامح»: «والاسم الرابع في البطاقة محمود».

(٢)

يقول «سامح»: «ما رأيك في تغطية كواليس عزاء «يوسف شاهين» في كنيسة القيامة.. سأكون أحد أعضاء الكورال، وسأمدك بالمعلومات»، فيفكر «علاء» لحظات ويوافق.

في صبيحة الجنازة استطاع «علاء» أن يتواجد حاملًا كاميرا صغيرة لتصوير الكواليس، يصحبه «سامح» داخل ردهات الكنيسة منذ السادسة، يعرفه على «إيريني» ويصفها بأنها إحدى زميلاته في

كورال الكنيسة، تبدو «إيريني» ودودة ونشيطة وتبث حيوية في المكان، ويبدو على «سامح» حالة من السرور في أثناء وجوده في صحبتها. يحاول «علاء» أن ينهي عمله فيذكر «سامح» بالكواليس. يصحبه من الجهة الخلفية للكنيسة، يباغته «علاء» قائلًا: «لكنني ألحظ أن مستوى جمال الفتيات في الكنيسة مرتفع..». يعلق «طارق»: «لأنها كنيسة للروم الكاثوليك وليست للأرثوذكس.. أصول أغلبنا من الشام». يعلق «علاء» بطريقة موحية: «إذن يا بختك بإيريني». يبتسم «سامح» فيزداد وجهه الأبيض إشراقًا ويبدو أكثر وسامة، ويكتشف «علاء» أن شعر «سامح» بني اللون يجعله أكثر جمالًا من أقرانه، فيعلق: «ليتكم لم تكونوا طائفة قليلة العدد في مصر.. كثرتكم ستحسن النسل». يتضاحكان. يقف «سامح» مع أحد الكهنة ويعرفه بـ«علاء». يتحدث الأخير مع الكهنة، ويصور استعدادات الكورال. تزدحم الكنيسة بعدد من الفنانين عندما تقترب الساعة من العاشرة، يدخل «حسن كامي» أولًا، يتبعه «محمود ياسين» وزوجته، يزداد عدد الصحفيين والمصورين وقنوات التلفزيون بالتبعية، يقرر «علاء» العودة إلى الجريدة مكتفيًا بما حققه، يعرجان على غرفة الكورال الكنسي، يقف «سامح» بجوار «إيريني» في التدريب الأخير قبل خروجهم إلى قاعة الكنيسة، يبدو صوت الكورال خفيضًا، يميز «علاء» صوت «سامح» وسط الجموع، يلتقط صورة جماعية للكورال ويهم بالانصراف. يتحرك «سامح» في عجالة ليخرجه من الكنيسة قبل أن تبدأ مراسم العزاء. على الشارع الرئيسي يشكر «علاء» «سامح»، ويقول: «ما سينشره

الآخرون سيكون متشابهًا إلى حد كبير.. الصحفي الجيد هو من يهتم بالزوايا المختلفة». يمر صحفي من جريدة قومية بجوار «علاء» ويحتضنه، ثم يسأل: «لِمَ ستغادر؟ لقد بدأ العزاء توًّا؟». يخبره «علاء» بأنه يشعر بوعكة صحية، يترجل قليلًا، ويصاحبه «سامح»، فيقول «علاء» مودعًا: «إياك أن تصدق صحفيًّا.. جميعنا كاذبون.. المهم أن تحصل على قصتك الصحفية».

(٣)

كان «علاء» يبحث عن طريقة ليدخل بها كنيسة القديس «كيرلس» التي يعرفها الأهالي باسم كنيسة «الكوربة». يعد ملفًّا حول تاريخ مصر الجديدة، وظاهرة تعديات المباني الحديثة على العمارة النادرة والأثرية في مصر الجديدة. يذهب إلى كنيسة «البازليك»، يستوقفه العسكري فيقول «علاء» إنه يبحث عن أحد القساوسة ليتحدث معه. يخرج له أحد القساوسة. يعرفه «علاء» على نفسه وعلى زميله المصور «أحمد». يشرح له الموضوع الصحفي الذي هو بصدد تنفيذه ويسأله عن رأيه في ظاهرة التعديات على أراضي الكوربة ومصر الجديدة، ويطالبه بأن يصور الكنيسة من الداخل لعمل مقارنة بصرية بين جماليات المبنى والعمارة ذات اللون الأزرق التي تم إنشاؤها حديثًا في الشارع الخلفي، يرفض القس بهدوء، يخبره بأنه لا يحب الظهور الصحفي، وبالتالي فلن يبدي رأيه في أي موضوع، ويعطيه كتيبًا مصورًا بالفرنسية عن كنيسة «البازليك» تم طباعته منذ

فترة، ويؤكد له أن به كل المعلومات عن الكنيسة إذا احتاج إليها، ويشكره على زيارته. يشكره «علاء» بالتبعية وهو يشعر بخيبة الأمل. يرى في كنيسة «الكوربة» القريبة من كنيسة «البازليك» الأمل الأخير له في عمل ما فشل في عمله. يخبره «أحمد» بأن الأمر صعب؛ فهما مسلمان، ويقترح عليه أن يطلب العون من أحد الزملاء الأقباط في الجريدة، إلا أن «علاء» يرى أن الأمر أبسط من أن يدين بخدمة أو معروف من أجل التصوير في إحدى كنائس الكوربة القديمة. يحدث إحدى زميلاته بالجريدة ويسألها أن تستخدم الإنترنت أمامها، وتبحث في محرك البحث عن كنيسة القديس «كيرلس» وتخبره بالمعلومات التي حصلت عليها، تجيبه بأن الكنيسة من أقدم كنائس مصر الجديدة، تم إنشاؤها مع مصر الجديدة عام ١٩١٠، يكتفي بتلك المعلومة. يتجه نحو الكنيسة، يسأله خفير الكنيسة الذي يجلس على الدكة الخشبية بالخارج عما يريده، فيقول إنه يود مقابلة كاهن الكنيسة؛ لأن الجريدة التي يعمل بها بصدد عمل ملف عن الكنيسة التي ستحتفل بمئويتها خلال عامين، يطالبه الخفير بالبقاء على الباب حتى يطلب الإذن، يسمع حواره شاب أبيض الوجه في مثل سنه تقريبًا، يقترب منه ويحيه، يقول له إنه يقرأ اسمه بداخل الجريدة، وإنه أحد عشاق الجريدة التي يعمل بها، وإنه دائمًا ما يرى في موضوعات «علاء» نكهة أو فكرة مختلفة، وإنه سعيد بأنه يصنع موضوعًا عن الكنيسة، ثم يضيف «سامح طارق.. سعيد بمعرفتكما». يعود الخفير ويخبره أن الأب مشغول الآن ويطالبه بالعودة في وقت آخر، يطالبه «سامح» بالبقاء دقيقة حتى يذهب إلى القس ويشرح له

الأمر لأنه يدرك أن محاولته قد تكون أفضل من محاولة الخفير، يعود «سامح» بعد دقائق ويقول لهم إن الأب وافق على مقابلتهما غدًا نهارًا. يصحبهما إلى خارج الكنيسة ويشكره «علاء». يشعر «علاء» بورطة أن يكتشف الشاب أنه يقوم باستغلاله في موضوع مختلف عما زعمه. يختلي بـ«سامح» ويصارحه بأنه يحاول في موضوعه توثيق التعديات على حي مصر الجديدة وأثر ذلك على المباني القديمة كالكنيسة وليس في الموضوع احتفاء بالكنيسة. يجيبه «سامح» أنه لا بأس في ذلك، فالقس في كنيسة «الكوربة» يهوى الجمال والعمارة، يسأله عن سبب ادعائه فيحكي «علاء» واقعة «البازليك»، ويقول له عبارته الأثيرة: «لا تثق في صحفي.. المهم لدينا هو القصة الصحفية فقط». يبتسم «سامح» ويسأله عن رقم محموله ويتبادلان وسائل الاتصال. يضيف «سامح» بأنه سيأتي غدًا نهارًا ليساعده فيما يفعل، يسر «علاء» بتلك العلاقة التي نشأت للتو، ويقول لـ«أحمد» وهما يبتعدان: «أصبح لدينا مفتاح داخل الكنيسة».

(٤)

لم يستقبل «علاء» هاتفًا من «سامح» بعد واقعة الكنيسة إلا عندما توفي «يوسف شاهين»، شعر «علاء» وقتها بأن الشاب الذي يماثله في السن أهداه موضوعًا لم يسعَ إليه، وضعه في موقع أفضل كمصدر يمكنه أن يسهل له أمورًا داخل الكنيسة كلما احتاج الأمر، في

المناسبات المختلفة الخاصة بالأقباط كان يرسل «علاء» لـ«سامح» رسائل معايدة على محموله فيشكره «سامح» على رقته.

يدخل «علاء» «كافيه ستاربكس» بالكوربة بحثًا عن مكان ينهي فيه بعض الأعمال، في الوقت الذي يلمح «سامح» و«إيريني» يجلسان في الداخل، يمسك «سامح» يد «إيريني» فيتظاهر «علاء» بأنه لم يرهما حتى لا يحرجهما ويتطفل على خصوصيتهما، خصوصًا أن تلك الخصوصية لن تفيده في عمله، يمسك حاسوبه المحمول ويجلس في إحدى الطاولات مديرًا ظهره إلى الثنائي «سامح» و«إيريني»، إلا أنه يفاجأ بيد «سامح» تربت على كتفه، ثم يدعوه للجلوس معهما هو و«إيريني». تعلق «إيريني» على دبلة يرتديها «علاء»، وتسأله: «هل الخطوبة حلوة؟». ينظر إليها ويجيب: «حلوة ما دامت قائمة على الحب». تنظر «إيريني» إلى «سامح» وتقول ببهجة: «سامع الكلام؟». يمرر «علاء» عينيه بينهما ويتردد بين التدخل بالسؤال أو عدمه، إلا أن «إيريني» تقطع حيرته قائلة بإنجليزية واضحة: «it's complicated». يكمل «سامح»: «الفيس بوك موقع عبقري.. عندما وضع هذا التوصيف».

يستأذن «سامح» في أن يوصل «إيريني» إلى شارع بغداد حيث تسكن وأنه سيعود لإكمال جلسته مع «علاء». يخرجان فيلملم «علاء» حاجاته ويخرج راكبًا سيارته. لا يحب أن يتمادى مع مصدره في علاقة، يضع حدودًا في جعل العلاقة ودودة، لكنها لا تقترب إلى درجة الصداقة. يرى أن صداقته للمصدر تجلب عليه متاعب

أكبر من الفوائد، فالمصدر حينها يكون دائم المطالب التي يجب أن ينجزها له الصديق الصحفي القادر على حل المشكلات، ويصبح أكثر تدخلًا في العمل بعد نشره، والأسوأ من وجهة نظره أنه عندما يتجاوز هذا الحد الفاصل يصعب إرضاؤه، فالكلمة التي تضايق صديقًا في أحد الموضوعات تجعل لزامًا على الصحفي مصالحته، أما المصدر فلا يحتاج وقتًا للمصالحة. يرسل «علاء» رسالة على محمول «سامح» ويخبره أنه اضطر للانصراف بسبب مهام عمل عاجلة، يرد عليه «سامح» برسالة «لا تثق في صحفي أبدًا»، يبتسم «علاء» على هذه الدعابة الارتجاعية، ويرسل إلى «علاء» وجهًا باسمًا عبر محموله.

(٥)

يعرف «سامح» أن والدته «فيفيان» جميلة مثل الكوربة التي يسكنها، يدرك تمامًا أنه من السهل أن تكون محط أنظار الرجال على الرغم من أن ابنها الوحيد جاوز الثالثة والعشرين، فهي لبنانية ما زالت تمتلك جمال سيدة في منتصف الأربعينيات، يرى صورهما في أثناء مراحل حياته المختلفة، فيتساءل في نفسه عن سبب عدم زواجها بعد أبيه، على الرغم من أنها كانت تستطيع أن تفعل، يتعاظم إحساسه بالفخر والامتنان تجاه السيدة التي وهبته حياتها.

يطبع قبلة على رأس «فيفيان» التي انشغلت بمحادثة صديقتها «بولا» ويدخل إلى غرفته، يجلس على سريره وهو يفكر في «إيريني»،

يخرج محفظة نقوده ويخرج منها صورة صغيرة لوالده ووالدته معًا في الستينيات، كُتب على ظهرها «بعلبك ـ ١٩٦١»، يخفي هذه الصورة عن والدته بعد أن وجدها مصادفة في زيارته الأخيرة لمنزل جدته في لبنان قبل وفاتها منذ عامين، ينظر إلى والده بحالة من الجفاء والغيظ، يمسك الصورة، ويبدأ في قطعها بيده فاصلًا والده الذي يضع يده على كتف أمه التي ترتدي فستانًا قصيرًا مفتوحًا، يتبقى فقط يد والده فوق جسد والدته، بينما يخرج ولاعته ويحرق صورة والده، وبالطرف الأخير للصورة المشتعلة يشعل سيجارته.

(٦)

حين رفضت جدة «سامح» زواج والدته «فيفيان» من والده «طارق نصحي محمود» بسبب اختلاف ديانتهما لم تبالِ الأم، أخبرت الجدة أن الزمن تغير، وأن الأمور تتبدل بالحب، تزوجا ورحلا إلى القاهرة، حيث فضلت أن تقيم «فيفيان» في الكوربة. منحا «طارق» مفتاح الشقة التي وصفها بأنها هدية زواجهما، قضت خلالها عامين من السعادة الحقيقية كللتها بخبر حملها، في الشهر الثامن اختفى «طارق»، رحل، رحل ببساطة شديدة، لم يترك لها ورقة أو رسالة أو خبرًا، بينما ظلت هي مكلومة عليه تبحث عن أخباره، تتساءل إن كان قد سافر بشكل مفاجئ، لكن طبيعة عمله في الاستيراد والتصدير لا تجعله يسافر بشكل مفاجئ، بعد ثلاثة أشهر من رحيله أرسل لها قسيمة طلاقها، وبعدها بعام عرفت أنه تزوج بعدها، كما كان متزوجًا من قبلها، ظل

«سامح» أمام عينها ذكرى تربطها بهذا الخائن، تتضايق من وجوده، تتضايق من جدران الشقة التي اكتشفت بعد اختفاء «طارق» أنها إيجار وأن الإيجار لم يعد مناسبًا لها، فانتقلت إلى شقة أصغر في الكوربة أيضًا.

تخشى «فيفيان» من العودة إلى عائلتها في لبنان التي ستتعامل معها بقسوة، كما أنهم لن يتقبلوا هذا الطفل الذي يكرهون والده من البداية.

التحول الحقيقي في علاقتها بـ«سامح» بدأ بعد تسعة أشهر من ولادته، حين أخبرها الأب «ديمتريس» أنها مخطئة بكرهها لتلك الروح الصغيرة؛ لأنها من الرب، وأنها في صبرها على الأذى الذي تلاقيه تشبه السيدة العذراء، ونصحها من الاقتراب أكثر من الرب، وطالبها بألا تحمل بالًا على نفقاتها؛ إذ ستتكفل بها الكنيسة. نجحت «فيفيان» بفعل المساعدة أن تشتري ماكينة خياطة وتفصل فساتين الأفراح، وساعدتها الكنيسة بالترويج لها، فازدهرت حالتها المادية، أما المعنوية فقد كان نبوغ «سامح» وروحه العطرة كفيلة بذلك، دخل المدرسة واختلط بأقرانه من الكنيسة، ونجح في أن يكون محبوبًا بينهم، يعرفه الجميع باسم «سامح نصحي».

حين مرت السنوات لم تعد زيارة الأهل في لبنان عائقًا، اشتاقت الجدة إلى حفيدها الذي تخرج في الجامعة، ودعتهما إلى البقاء معهما في لبنان، إلا أن «سامح» رفض لارتباطه بمصر وبـ«إيريني».

(٧)

تظهر إنفلونزا الخنازير لأول مرة في مصر في المبنى التابع للجامعة الأمريكية في «المرعشلي» بالزمالك، يتصدى «علاء» لرصد تعامل المصلين في الكنيسة يوم الأحد الذي تلا اكتشاف الحالة في الجريدة، يطلب من «سامح» أن يصحبه إلى هناك، يرى «علاء» في صورة المصلي الذي يضع قناعًا طبيًّا فوق أنفه وفمه مادة صحفية جيدة لجريدته، يشعر «علاء» بتوتر «سامح» الذي يهمس: «علاء.. الـ«شاتر» (غالق العدسات) يصدر صوتًا».

(٨)

يصطحب «علاء» «سامح» إلى الرصيف المقابل للكنيسة، يقف «علاء» على الرصيف بينما يقف «سامح» في نهر الطريق فيبدو فارق في الطول بين الطرفين، يسهب «سامح» في شرح قصته، شاب تعلم الدين الإسلامي قهرًا في كتب الوزارة، لم يكتب آية واحدة في امتحاناته لكنه كان ينجح، بينما يحفظ الإنجيل، ويغني في الكورال الكنسي. تلمع عينا «علاء» بفعل القصة ويسأله: «لماذا لا تحول ديانتك وتتخلص من تلك المشكلة؟». يجيب «سامح» ساخرًا أنه على الرغم من وجود قانون يكفل حرية التنقل بين الأديان فإن إجراءات تحويلك من قبطي إلى مسلم أسهل بكثير من الإجراءات العكسية، كما أن الإجراء العكسي يتطلب تحريات

من أمن الدولة، وجلسات نصح مع مشايخ وغيرها، وهو ما لا يطيقه نفسيًّا، ولا يرغب في أن يتعرض له، علاوة على ذلك هو الصخب الإعلامي الذي يصاحب مثل تلك الحالات القليلة، والتي غالبًا ما تحدث بفعل أمن الدولة لخلق نوع من العقاب المجتمعي للمتحولين دينيًّا. يسأله «علاء» إن كان يريد مساعدته، فيرد «سامح» بثقة: «لا تثق في صحفي.. المهم أن تحصل على قصتك الصحفية وأنا لست قصة صحفية لتتابعها». يرد «علاء»: «لكنك قصة صحفية يمكنني كتابتها حتى لو لم تقبل على تحويل ديانتك». ينفعل «سامح»: «إنك بهذا تعرضني للموت.. التيارات الدينية في مصر من الطرفين أو حتى سكان مصر الجديدة، أهالي والدي الذين لا أعرفهم ولا أعرف إن كانوا متشددين أم لا.. أنا أثق فيك.. أنت لن تكتب قصتي».

يكتفي «علاء» بابتسامة محايدة لا تخبر «سامح» بشيء، فيكرر: «أنت لن تكتب قصتي.. أليس كذلك؟». لا يجيب «علاء»، فينفعل «سامح»: «أنا المخطئ أنني صدَّقت صحفيًّا.. بكتابتك قصتي تقتـ...».

تمر سيارة مسرعة شديدة القرب من «سامح» فيجتذبه «علاء» بسرعة من الشارع الذي يقف فيه إلى الرصيف الذي يدوسه الأخير، يتنهد «سامح» بفعل هول المشهد، يقول: «شكرًا.. أنقذت حياتي». يربت «علاء» على كتفه ويمشي صامتًا، ينظر إليه «سامح» مليًّا وهو يبتعد، ويبتلعه الشارع، ويصرخ: «... إلى الآن».

صندوق الطرد

الساعات عند «أم حسين» متشابهة، لا جديد، تتحرك من صفط اللبن في السابعة والنصف في اتجاه المهندسين حيث تقبع إحدى شركات البرمجيات التي تحتل فيلًا صغيرة هناك، تقوم بعمليات النظافة، تمسك القطعة القماشية خاصتها وتنظف المكاتب والأرضيات، تنتهي من الطابقين في التاسعة إلا عشر دقائق، قبل أن يبدأ الموظفون الذين لا يتجاوزون عشرين مهندسًا وإداريًّا في التوافد على الشركة، وغالبًا ما يصل أكثرهم متأخرًا، عدا الأستاذ «معتز» المحاسب الخاص بالشركة، يطلب شايًا، فتخبره «أم حسين» أن «عادل النوبي» عامل البوفيه لم يصل بعد، وأنه يغلق البوفيه بالمفتاح.

اعتمد النوبي على هذه السياسة إثر واقعة شهيرة اتهم فيها «أم حسين» بأنها سرقت بعض الأموال من درج البوفيه عندما ترك الباب مفتوحًا، والحقيقة أن «النوبي» اعتمد على اختلاق الواقعة لأنه كان يصل متأخرًا نصف ساعة تقريبًا وتقوم «أم حسين» بإعداد

الشاي فيها لمن يصل مبكرًا، تحصل على بقشيش يعتقد «النوبي» أنه يخصه، خصوصًا أن دور «أم حسين» الوظيفي هو النظافة فقط، وعلى الرغم من ذلك اكتفت «ناهد» مديرة الموارد البشرية بلفت نظر «أم حسين»؛ لأنه لا يوجد دليل حول شخص بعينه سرق إيراد البوفيه، ومنعتها من التنظيف ودخول البوفيه تمامًا، وبذلك تقلصت الحركة التي تقوم بها «أم حسين» والتي تلتهم ساعات العمل التي تمتد إلى الخامسة والنصف، فما إن تقارب الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، تجلس «أم حسين» على كرسيها الصغير في الطرقة الفاصلة بين حمام الرجال وحمام النساء، والتي لا يتجاوز طولها مترين، في البدء كانت تجلس بالكرسي داخل حمام السيدات، حيث ينقسم الحمام إلى جزأين الأول خاص بالأحواض والمرآة، حيث يضم ثلاثة أحواض متجاورة صغيرة ومرآة كبيرة، والجزء الآخر يفصله باب خشبي رفيع يحتوي على الجزء الخاص بالمرحاض.

وحين اعترضت فتيات الشركة على بقاء «أم حسين» داخل الحمام؛ لأنها كما قلن: «بتنقل كلام وبترمي ودن». أصدرت «ناهد» مديرة الموارد البشرية قرارًا ببقائها في الطرقة الصغيرة بين بابي الحمامين. تدخل إلى الحمام كل نصف ساعة لتتأكد من نظافته، ليزيد ذلك الصمت من رتابة الساعات التي تعيشها «أم حسين» يوميًّا، وعلى الرغم من أنها كانت تسري عن نفسها بالاستماع إلى الفتيات في الحمام في أثناء تعديل ملابسهن، أو المكياج الخاص بهن، إلا أنها لم تكن تفهم شيئًا مما تقلنه؛ لأنهن غالبًا يتحدثن في

أغلب الحديث بالإنجليزية، لدرجة جعلتها تقتنع أنها تعمل في «شركة خواجات».

لم يكن هناك ما تحكيه «أم حسين» عن وظيفتها في أثناء تناولها الطعام مع «حسين». تخبره أن الأمر مشابه لما يحدث كل يوم. لا تتذكر «أم حسين» خلال يومها حوارًا كاملًا مع أحد الموظفين، وإنما حفنة من التعليقات مثل التي يقوم بها المهندس «ياسر» في أثناء دخوله الحمام: «قاعدة كده ليه يا أم حسين؟!» وهو سؤال لا يبحث عن إجابته فعليًّا؛ لأنه يقوله وهو يفتح الباب داخلًا الحمام، أو وهو خارج حين يردد دعابة ارتجاعية: «إنتِ برضه لسه قاعدة يا أم حسين». ولا تفهم «أم حسين» الدعابة فلا تضحك ولا تجيب من قبل، تطأطئ رأسها لأسفل وحين تتنبه أنها قد تنعس ترفع رأسها لأعلى ناظرة إلى السقف، في البدء كانت حين تشعر بذلك تطلب كوبًا من الشاي من «النوبي» يحاسبها عليه بنصف جنيه، لكن حين انقطعت العلاقات بعد معركة «السرقة» لم تعد «أم حسين» تطلب شايًا من «النوبي»، حتى عندما حاولت أن تحضر ترمس شاي خاصًّا بها، يتحول غطاؤه إلى كوب تشرب منه طوال اليوم وتضعه تحت الأحواض في حمام النساء، استدعتها «ناهد» وخصمت لها ثلاثة أيام، وقالت لها إنها تعمل في شركة محترمة، وليس سوقًا، وأضافت كلمات بالإنجليزية لم تفهمها «أم حسين».

في أثناء قيامها كل نصف ساعة إلى داخل حمام الرجال، أولًا، تعرف أنه لا يوجد أحد بالداخل لأنها تجلس على الباب، تحرك

يديها بقطعة قماشية لمسح الماء الزائد من أثر الوضوء، تتأكد أن تشد ذراع صندوق الطرد، حتى وإن كان نظيفًا ثم تضع مادة صابونية في فتحة المرحاض، ترش معطرًا في المكان، وتخرج لتكرر الأمر نفسه في حمام السيدات، تتذكر للحظات أن مشاويرها إلى «ناهد»، على الرغم مما تحمله من توبيخ، هي التغيير الوحيد في هذا الإيقاع الذي يجعلها تفكر في ماضيها ومشاكلها ومشاكل «حسين» وتاريخها، لدرجة ملت فيها التفكير. كانت تتمنى أن يوكل إليها المكان قضاء مشاوير في المحلات أو السوبر ماركت الموجود تحت الفيلَّا، لكنها دائمًا توكل إلى «النوبي».

منذ أربعة أشهر لم يطرأ جديد في حياة «أم حسين»، تمر «ناهد» من أمامها إلى الحمام من دون أن تنطق بعبارة مثلما اعتادت، في داخل المرحاض تجلس «ناهد» تحمل محموليها وهي تقضي حاجتها، تقوم بدردشة بواسطة جهازيها الـ«بلاك بيري»، بينما تجلس «أم حسين» على كرسيها تطأطئ رأسها في الأرض، تنتهي «ناهد»، وتنهض حاملة محموليها في إحدى كفيها وتتجه بيدها الأخرى إلى ذراع صندوق الطرد، يختل اتزانها بشكل جزئي يجعل أحد محموليها يسقط في المرحاض قبل أن تهم بضغط ذراع الطرد، تنظر «ناهد» إلى برازها في المرحاض ومحمولها الذي يصدر صوتًا معبرًا عن وصول رسالة شات جديدة، تفكر مليًّا ثم تفتح الباب الخشبي الصغير لتتأكد أنه لا يوجد أحد في الساحة الخارجية للحمام حيث الأحواض، تخطو مسرعة فاتحة الباب الخارجي للحمام، تنادي «أم حسين» فتنهض وراءها متوقعة أنها أهملت في الحمام الذي

باشرته منذ خمس دقائق فقط، تدخل وراءها المرحاض وتنظر، تقول «ناهد»: «الموبايل وقع من إيدي.. ممكن بس تجيبيه قبل ما يبوظ؟». ثم تضيف: is it possible because I've all of my data? in it». لا تفهم «أم حسين» العبارة الأخيرة، تستغل الدقائق القليلة في محاولة فتح نقاش مع «ناهد» قائلة: «وتفتكري نعمل إيه يا ميس ناهد؟». تُجيب «ناهد»: «اتصرفي.. ممكن نجيبه بخشبة من عند النوبي أو بحاجة كده». ترد «أم حسين»: «بس أنا خايفة إن الخشبة ما تطلعوش». يرن المحمول مرة أخرى معبرًا عن وصول رسالة. تحتد «ناهد»: «اتصرفي يا أم حسين». تعرف «أم حسين» ها هنا أن النقاش انتهى، تخرج من الباب الخشبي، ثم من باب الحمام بالكامل، تأخذ القطعة القماشية من فوق الكرسي الذي تجلس عليه وتعود مسرعة، تمد يدها اليسرى داخل المرحاض تشعر بصلابة المحمول في كفها بينما يعلق برسغها بعض البراز، تستخدم يدها اليمنى التي تحمل القطعة القماشية في تنظيف شاشته وأزراره من المياه وبواقي البراز، تُخرج «ناهد» عدة مناديل معطرة من يدها وتتناول بها المحمول، وتخرج مسرعة من الحمام بأكمله قائلة: «ميرسي»، تخرج وراءها «أم حسين» إلى منطقة الأحواض، تجعل الماء الفاتر ينزل فوق يدها مع بعض الصابون، تعود إلى داخل المرحاض وتشد ذراع صندوق الطرد الذي نسيته «ناهد».

Woman on top

المتعة التي يشعرها «نادر» وهو يضاجع «آن» لا توصف، دائمًا ما يجزم لصديقه «علاء» أن الأمريكيات الأفضل، والتشيكيات الأجمل، والألمانيات يحتجن إلى رجل ذي صحة مفرطة، والمصريات لا يفقهن شيئًا في الجنس، وقد كانت «آن» أمريكية في منتصف العشرينيات، بها حيوية العشرينيات وخبرة تجعله مستمتعًا بكل فعل ورد فعل، كل أنَّة تصدرها «آن»، وكل عبارة إنجليزية بذيئة تشجعه به على مضاجعتها، ينظر لها وهو مستلقٍ على ظهره بينما تولت هي القيادة فيشعر أن جسدها المرمري شديدُ النضارة، قوامها متجانس بدرجة مثيرة، يمسك نهديها الصغيرين المستديرين بقوة فتصرخ من الألم، سيحكي كثيرًا لـ«علاء» عن هذه الصرخة عندما يحادثه، وسيضيف نظرياته بشأن عشق الأمريكيات للعنف، وسيطرب «علاء» بتلك القصة؛ إذ اعتادا تبادل القصص والمعلومات بشأن عملائهما.

كان «علاء» هو من أخبر «نادر» عن «آن» في رسالة وصفها

خلالها بأنها صاروخ جنسي حقيقي يمكن إسقاطه من خلال حائط الصواريخ.

في أثناء انتظار «نادر» لـ«آن» في صالة الطيران الداخلي حتى وصول رحلتها من شرم الشيخ قرر أن يشغل وقته بأن يحدث «علاء» عن «آن»، أمسك هاتفه المحمول وأخرج رقم محموله. يخبره «علاء» الذي يعمل معه في نفس شركة السياحة أن «آن» جاءت إلى مصر مع جدتها «مارلين» العجوز التي تجاوز السبعين ضمن رحلة تقوم بها في الشرق الأوسط بدأتها بإسرائيل، ثم إلى الأردن مرورًا بمصر التي زارت فيها شرم الشيخ، ثم تقضي خمسة أيام في القاهرة وتنهي رحلتها مع جدتها بزيارة تركيا.

يعمل «نادر» مندوبًا سياحيًّا وظيفته «تسكين السياح»، وهي المهمة التي تقتضي أن يقوم «نادر» باستقبال السياح في المطار ثم يتوجه معهم إلى الفندق الذي سيسكنون فيه، ينهي لهم جميع أوراقهم، يطمئن أنهم استلموا مفتاح الغرفة، ثم يعود إلى الفندق بعد ساعة؛ حيث يعطي لعملائه ورقة مطبوعة بالجدول الخاص برحلاتهم السياحية التي قاموا بدفع تكاليفها، ووسيلة التواصل مع المرشد المسئول عن الرحلات، ويعاود مقابلتهم مرة أخرى في أثناء إخلائهم للمسكن وذهابهم إلى المطار في رحلة العودة، هنا تنتهي وظيفة «نادر» التي أتقنها منذ تخرجه قبل عقد كامل، والتي يحصل منها في أحيان كثيرة على بقشيش مناسب، إلا أنه في بعض الأحيان يطلب السياح أن يكون هو مرافقهم في الرحلات السياحية، فيطلب

منهم «نادر» بالتبعية تبليغ إدارة الشركة، ويصحبهم في رحلات يحصل منها على بقشيش أكبر، إلا أن «نادر» كان يستغل ميزة أن تخصصه لا يشمل مرافقة السياح في صالحه، فقد كان يرفض بشكل قاطع هذا العرض، ولا يطالب السياح أن يطلبوه بالاسم من الإدارة إذا كان عدد السياح كبيرًا، أو كان أغلبهم من الرجال أو العجائز، لذلك دائمًا ما كانت تمثل له مرافقة السياح أجرًا ومتعة إضافيين. كان ينتقي من يعجبه من السياح، في حين تظن الإدارة دائمًا أن السياح هم من اختاروه، وبالتالي أصبح أغلب مرشدي الشركة في فرع القاهرة يكنون له مشاعر عدائية، في حين قرر «نادر» منذ زمن طويل ألا يصادق أحدًا، حتى علاقته بـ«علاء» زميله في الشركة بفرع شرم الشيخ علاقة منفعة متبادلة، فغالبًا ما كان يجري بينهما ترتيب بشأن السياح الذين سيزورون القاهرة أو شرم الشيخ. يرشح «نادر» زميله «علاء» ليكون المرشد الخاص بهم في شرم الشيخ نظير ذلك يحصل على عدد كبير من المنافع من زميله «علاء».

تخطو «آن» خطواتها بثقة ورشاقة، ترتدي «بلوزة» عادية تكشف بداية نهديها من خلال فتحة صغيرة، بينما ارتدت الجدة بنطلونًا قماشيًّا وقميصًا سماوي اللون بدون حمالة الصدر. يقشعر بدن «نادر» من الجدة العجوز، فيشيح بنظره تجاه «آن» التي كانت ملابسها أكثر احتشامًا من الجدة، مما أثار «نادر» بدرجة أكبر، قوة الرجل في أن يجعل المرأة تتعرى أمامه لا أن يراها عارية منذ البداية، يشعره ذلك بدرجة أكبر من النشوة والانتصار، دائمًا ما كان يقول لـ«علاء» إن أفضل أجزاء الأفلام الجنسية هو الجزء الأول الذي يدور فيه موقف

عبثي بين بطلي الفيلم، مما يدفع المرأة للتعري أمام الرجل، يرى أن الفيلم يفقد بريقه بعد مرور دقيقة واحدة على تعري البطلة، لذلك دائمًا ما كان يكره الأفلام التي تبدأ ببطلة عارية. يتخيل «آن» وهي عارية فيزداد استثارة، يحاول أن يفتح معها نقاشًا، فتتجاوب معه وتبدأ في الحديث عن زيارتها الأولى للشرق الأوسط، تحدثه هي عن انبهارها بما قرأته عن الفراعنة، يسرد لها مجموعة من المعلومات، يشحذ تفكيره بأن ينتقي اللحظة المناسبة ليلقي جملة عن فحولة الفراعنة الجنسية، تتدخل «مارلين» في الحوار بمجموعة من الأسئلة فيتراجع عن توقيت إلقاء الجملة.

يشعر «علاء» بالسعادة أن «آن» وجدتها اختارا شقة فندقية وليس غرفة بفندق، حين سأل «نادر» «علاء» ما إذا كان استطاع إسقاط الصاروخ الجنسي بحائط الصواريخ الخاص به، أجابه بأن الوقت والمكان لم يساعداه؛ إذ تمنع الفنادق مندوبي السياحة من الصعود إلى غرف النزلاء ويجبر النزلاء على ملاقاة مرشديهم في البهو الخاص بالفندق، لذلك سرت البهجة في نفس «نادر» بشأن الشقة الفندقية، فهي في أحد الأبراج الكبرى الموجودة على النيل والتي تؤجر فيها شركات السياحة. مهما يكن جمال «آن» فلا يقارن بـ«نسمة».. الفتاة التي حاول «نادر» خطبتها منذ ست سنوات إلا أن والدها رفض؛ لأنه لم يكن يود أن ترتبط ابنته بشاب يعمل في السياحة، يجالس الأجانب وربما يشرب معهم الخمور، أو يساعدهم على ذلك. وعلى الرغم من أن «والد نسمة» لم يكن متشددًا إلا أن رفضه كان قاطعًا، أعطى لـ«نادر» فرصة بأن يبحث عن وظيفة

أخرى، على سلالم المنزل. تعجب «نادر» من رفض «والد نسمة» مهنته وموافقته أن يقوم بتأسيس منزل من هذا العمل الذي أتقنه لسنوات شريطة أن يترك العمل ويبحث عن آخر. وعلى الرغم من محاولة «نادر» في العمل كمحاسب إلا أن الدخل الشهري وعدم قدرته على الاستيقاظ مبكرًا بشكل يومي جعلاه يترك المحاسبة و«نسمة» أيضًا. واكتشف «نادر» أن حياته لم تتهاوَ بعد الفتاة؛ إذ أحب «مها»، وازداد قلبه فرحًا عندما عرف أن والدها متوفًّى، ووالدتها هي المسئولة عن رعايتها، ترفض «والدة مها» «نادر» لنفس أسباب «والد نسمة»، وتضيف بأن المهنة غير مستقرة وأن السياحة في مصر تتعرض لأزمات كثيرة. يحمل «نادر» خيبة أمله، إلا أن «مها» استطاعت أن تضغط على والدتها التي رضخت للخطبة، لكن «نادر» هو الذي لم يتحمل حماته التي كانت تتعامل بإستراتيجية النفس الأطول، وكان نفسها أطول بالفعل، خصوصًا بعد ركود السياحة مدة شهرين بعد أحد التفجيرات في سيناء، فيفسخ خطبته بـ«مها».

يخبر «نادر» «آن» وجدتها بأنه سيعود بعد ساعتين لتقديم جدول الزيارات. ينصب شباكه على الجدة ليقنعها بأن تطلب من الشركة أن تطلبه ليكون مرشدهما؛ يرى أن السيدة أسهل إقناعًا وستقوده إلى الفتاة. يحاول أن ينظر إلى عيني السيدة ووجهها المجعد عوضًا عن يديها ورقبتها وصدرها المتدلي من قميصها السماوي.

توافق الشركة أن يصاحبهما في يومهما الثاني، واعتذرت لهما أنها لن تستطيع تغيير اليوم الأول لأنها ارتبطت بجدول خاص بمرشديها،

اليوم الثاني ستزور السيدتان الأهرامات ومصنع السجاد وغيرها من الجولة التي ينتظرها الأمريكيون بفارغ الصبر، سيجد فرصة مناسبة لإخبار «آن» بعبارة الفحولة الجنسية، وحين وجد أن «مارلين» دائمة الالتصاق بهما قرر أن يلقي بجملته ولا يفوت الفرصة.

أتت العبارة بأُكُلها، تحدثه «آن» في الهاتف وتخبره في اليوم الرابع المخصص لزيارة «خان الخليلي» في المساء وأمسية على النيل، أن جدتها ذهبت في جولة حرة نهارًا، وأنها تشعر بنوع من الملل وتطلب اقتراحاته، يقترح «نادر» أن يزورها للتفكير في الأمر وعمل جولة سريعة بعيدًا عن الجدول الموضوع، فتوافقه «آن».

في الشقة التي تسكنها «آن» سألته حين وصل عن أماكن اللهو كما وصفت في مصر، فأجابها بأن هناك عددًا من الأماكن التي تصلح للرقص والمعروفة بفروعها حول العالم وفي أمريكا نفسها، وأنه يمكن أن يجعلها تزور ملهى ليلي لترى الراقصات الشرقيات. تخبره أنها شاهدت عديدًا من الفيديوهات عن الرقص الشرقي. حاولت أن تقلد حركات الراقصات الشرقيات. أخبرته أنها غير متحمسة للفكرتين لأنهما يتطلبان الخروج ليلًا وهي تبحث عن لهو تقوم به الآن، تقترح عليه أن يمارسا الجنس، تقترب منه وتقبله، ينظر إلى الفتحة الصغيرة التي تكشف عن نهديها، يُستثار، تساعده على خلع قميصه، وتجذبه إلى السرير وتساعده على خلع باقي ملابسه، تقبله، تخلع ملابسها فينظر إلى جسدها المرمري، إنه الجزء الأقوى في الفيلم الجنسي، الجزء الذي يتبع الموقف، وعلى الرغم من هزلية

الموقف، فقد اكتشف خلال السنوات الأربع التي تلت فسخ خطبته بـ«مها» أن كل المواقف التي تسبق ممارسة الجنس هزلية. يشعر بنوع من تلبية احتياجاته حتى يستطيع الزواج، خصوصًا أن الفكرة بدأت تخفت له بعد أن فشلت مرتين، فهو لم ينهر بعدهما ولا يشعر بفارق، كما أنه بإتقانه دوره الذي طلبته «آن» له يضمن أن يحصل على تقييم مناسب في استمارة التقييم التي تلزمه الشركة ـ هو وزملاءه ـ بأن يملأها من السياح في اليوم الأخير لزيارتهم.

يمسك نادر بنهد «آن» بيده ويعتصره مرة أخرى، يتخيل أن كلًّا من «نسمة» و«مها» لم يكونا ليقودا العلاقة الجنسية هكذا مثل «آن». تشعر «آن» بمتعة في تلك القيادة، قبل أن تنقضي عدة دقائق تقرر فيها «آن» أن تكتفي بهذا الوضع، تنهض فيدرك «نادر» أنها اتخذت القرار بتغيير الوضع، يسألها عما تفضله، ترتمي على طرف السرير، بينما يظل هو واقفًا عند حافته، يقترب، تسترخي وتستعد له وتطالبه بأن يكون قويًّا، يمسك قدميها ويباعدهما في الوقت الذي يفتح فيه باب الغرفة لتدخل عليهما.. «آن»!!

حين وصل «نادر» هاتفًا من «مارلين» تخبره أن «آن» ذهبت في جولة نهارية، وتطلبه لتستشيره في مجموعة من قراراتها بشأن جولة نهارية أدرك أن العجوز ترسم موقفًا هزليًّا ليضاجعها، غالبًا ما تكون العجائز أكثر ميلًا لممارسة الجنس في الشرق الأوسط، يشعر أن حظه جيدًا إذا كانت السيدة أربعينية، فقد كانت أول سيدة طلبته في الستينيات إلا أنها منحته تقديرًا مهمًّا في تقييمه، استطاع أن يحصل

خلاله على مكافأة الـ ١٠٪ التي تقررها الشركة، بالإضافة إلى بقشيش وصل إلى مائتي دولار، حين خلعت «مارلين» ملابسها وكشفت عن جسدها المجعد ونهديها المتدليين وفخذيها اللتين خط الشيب فيهما أيامه، لم يجد أمامه سوى التفكير في «آن»، يتخيلها ويتخيل جسدها، مثلما تخيلها وهو يضاجع كل من صادفه، يتخيل أنها تئن بطريقة تثيره، يؤكد لـ«علاء» أن الأمريكيات الأكثر خبرة والمصريات لا يفقهن في الجنس، في الوقت الذي لم يحظَ فيه سوى بقبلتين من «مها» وربما لامست يداه «نسمة» عدة مرات، لا يدري سبب إصرار «مارلين» أن تقود العلاقة وأن يستلقي، حتى حينما قررت مللها من هذا الوضع نهضت ثم أخبرته أن تستلقي هي، فيبرز جسدها أمامه أكثر ليزداد جسده قشعريرة، يبذل مجهودًا إضافيًا في تخيل «آن»، ويمسك قدميها في الوقت الذي ينفتح فيه الباب لتدخل «آن». لن يستطيع أن يحكي لـ«علاء» أن أصعب المواقف التي يمر بها من يمارس الجنس هو أن يفاجئه شخص ويدخل إلى غرفته، والأسوأ أن يكون هذا الشخص هو المستلقي في مخيلة «نادر»، لم تتفاجأ «آن» واكتفت بالاعتذار وإخبار جدتها بأنها عادت لاستعادة جواز سفرها الذي نسيته، ترتدي فستانًا يكشف مفاتنها، سرعان ما تلاشت صورتها خلف الباب الأبيض الذي أغلقته مرة أخرى، ينظر «نادر» إلى عضوه الذكري فيجد أن المفاجأة أفسدت الفحولة التي تغنَّى بها، في الوقت الذي ترفع «مارلين» رأسها الممدد على السرير قليلًا، وتكتفي برفع يديها والإشارة بكفيها لـ«نادر» أن يُقبل مرة أخرى.

قيد عائلي

الاسم (طبقًا للرقم القومي): وليد محمود فخر الدين الهلوتي

العنوان: ١٤ ش السد متفرع من شارع حسني ـ الشرابية

النوع: ذكر

محل وتاريخ الميلاد: القاهرة ـ ٢٢ إبريل ١٩٨٧

من أسفل شرفة «ضياء» يطلق «وليد» صافرته مناديًا إياه، تخترق الصافرة حاجز الصمت الذي يغلف التوقيت المبكر، ينظر في ساعته، فيجد أنها السابعة وبضع دقائق، يقف «وليد» متحيرًا بين أن يكرر صافرته فيزعج النائمين، وذهابه من دون «ضياء»، لكن خروج «ضياء» بفانلته البيضاء في الشرفة حسم خياره في الانتظار. في طريقهما إلى مركز التجنيد في «الهايكستب» أخذ «وليد» يعاتب «ضياء»، ويدعو عليه بألا يحصل على إرجاء من الخدمة العسكرية ليعرف معنى الصحو مبكرًا. سأله «ضياء» عن كيفية صحوه مبكرًا بهذه الطريقة، فأخبره بأنه واصل ليله بنهاره ليتمكن من التحرك في السابعة، وأنه

لولا ذلك لكان نائمًا إلى الآن، فضحك «ضياء» ودعا له بمثل ما تمناه له.

في مركز التجنيد يقف «ضياء» و«وليد» في طابور طويل للسؤال عن الأوراق اللازمة. يكرر الموظف نفس الإجابة التي يجلس طوال النهار ليقولها، يدونها ضياء كملحوظة في محموله، يخرجان من المركز ويركبان حافلة نقل عام مكتظة، يسارع «وليد» بدفع ثمن التذكرتين، ويقترح على «ضياء» ألا يعودا إلى البيت، ويستغلا هذا النهار في إنهاء الأوراق المطلوبة، فيوافقه «ضياء» الرأي. يتولى «وليد» قيادة الرحلة، ويقرر أن تكون وجهتهما الأولى إلى العباسية حيث مكتب السجل المدني لإنهاء أوراق القيد العائلي، لأنها كما يقول «وليد» الأصعب على الإطلاق.

بعد أن أنهيا الطابور الطويل استطاعا معرفة الأوراق المطلوبة والتي تنحصر في أصل وصورة البطاقة الشخصية، واستمارتين للقيد العائلي، ومجموعة من التمغات، بالإضافة إلى أصل وصورة قسيمة زواج الوالدين، وأصل وصورة بطاقتيهما الشخصية، وأصل وصورة شهادات ميلاد الإخوة. يسأل «ضياء» الموظف إن كان مضطرًا أن يحضر شهادات ميلاد إخوة غير أشقاء من والده، فيجيبه الموظف بالإيجاب، ويضيف أنه سيحتاج قسيمة الزيجات الأخرى للوالد إن تواجدت.

في طريق العودة يشعر «ضياء» بالضيق لأنه سيكون مضطرًا إلى أن يحدث زوجتي أبيه ليحصل منهما على أوراق الميلاد الخاصة

بأبنائهما، بالإضافة إلى وثيقة طلاق والده من أمه وزوجة أبيه الأولى، يتوقع أن تكون زوجتا الأب غير متعاونتين، يسبهما فيحاول «وليد» تهدئته ويخبره بأن لا ذنب عليهما، يدرك حينها «ضياء» أن الذنب ذنب أبيه فيبدأ في سبه، يحاول «وليد» تغيير الموضوع فيخبره بأن أمه وعدته أنه إذا حصل على شهادة الإرجاء ستطبخ له بطة لأنها تعرف أنه يحب البط، وستصنع له محشي وملوخية بمرقة البط، وأنه يتمنى أن يحصل على شهادة الإرجاء، ليس فقط ليشعر أنه حر وقادر على العمل، بل ليحصل على وجبة البط التي يمثل وجودها للعائلة احتفالًا مهمًّا، فهي الوجبة التي تصنعها الأم في اليوم الأول من رمضان، وهي الوجبة التي صنعتها الأم حين زار خطيب أخته الكبرى الذي أصبح زوجها الآن البيت لأول مرة مع عائلته، وهي الوجبة التي سيحصل عليها «وسام» أخوه الأصغر إذا ما حصل على مجموع كبير في الصف الثاني الثانوي. يتحمس «ضياء» لمكافأة البط فيخبره «وليد» أنه سيكون معزومًا عليها في اليوم المشهود.

اسم الأم: هنية علي أحمد خليل

محل وتاريخ الميلاد: القاهرة ـ ٩ نوفمبر ١٩٦٠

تشعر «هنية» بفخر بأن ابنها «وليد» الذي تعبت في تربيته على الرغم من ظروف المعيشة الصعبة أصبح رجلًا، تخرج في كلية الهندسة بتقدير جيد، ويخطو خطوته الأولى نحو طريق العمل، لم تشعر بنفس السعادة مع أخته الكبرى «ولاء»، ربما لأنها تدرك أن

السيدة مصيرها في النهاية هو منزل زوجها حتى وإن عملت قليلًا، وأنه بمجرد مرور عام على الزواج ووصول أول حفيد ستتفرغ له «ولاء»، لذلك كان احتفالها بـ«وليد» كبيرًا، نزلت إلى السوق في التاسعة، وابتاعت بطة وضعتها في المبرد لتتجمد حتى تخرجها بعد بضعة أيام لتصنع منها الوليمة الاحتفالية.

لم يمنعها ارتفاع سعر البط بسبب اقتراب أعياد الأقباط من شراء بطة كبيرة الحجم، كانت قد حصلت منذ يومين على معاش أبيها المتوفى، فساعدها ذلك على شراء احتياجاتها. تتذكر وهي تحمل الأكياس إلى المنزل أنه مهما ارتفعت أسعار السلع فإن المشوار أصبح دانيًا، كان الحمل ثقيلًا حين كانوا ثلاثة يدرسون، خصوصًا أنها اتفقت مع زوجها منذ اليوم الأول أنهما على الرغم من بساطة وضعهما المالي والاجتماعي أن يسعيا لتعليم أبنائهما، وحفزا الأبناء على الالتحاق بكليات القمة لأنها تكفل لهم مستقبلًا وظيفيًا وماليًا أفضل مما تعيشه الأسرة.

عندما عاد «وليد» احتضنها وهي تقطع الفاصوليا في المطبخ، فأدرك أنهم سيتناولون الفاصوليا والمتبقي من دجاج الأمس. قبلته وطالبته بأن يستحم وينام خصوصًا أنه لم ينم منذ ليلة أمس. سألها عن أوراق القيد العائلي، تسأله عن ماهية الأوراق، فيخبرها أنه يريد شهادة مولدها هي وأبيه وقسيمة زواجهما.. تخبره الأم بأن والده هو الذي يحتفظ بالأوراق الرسمية للعائلة بالكامل، وتضع يدها على رأسه وتكرر طلبها بأن ينام حتى تنتهي من الغداء ويعود والده لمعرفة مكان الأوراق.

اسم الأب: محمود فخر الدين السيد الهلوتي

محل وتاريخ الميلاد: الشرقية ـ ٢ يناير ١٩٤٩

السبب الذي جعل «محمود» يتزوج في الثلاثين، هو تجنيده لمدة أربعة أعوام منذ عام ١٩٧٠ وحتى منتصف ١٩٧٤، أثر ذلك على حياته المهنية، فلم يستطع أن يدخر أموالًا كثيرة تساعده على الزواج أو الانتقال إلى منطقة أفضل من الشرابية، لكنه اعتاد الونس وأحبه؛ ففي محيطه يعرف الجميع ويعرفه الجميع، يعرفون عائلته وزوجته، يرقصون في زفة ابنته «ولاء»، يتلاحمون بدرجة تشعره بالدفء، وبالمثل فهو يعرف الجميع، ويعرف عنهم كل شيء، يتدخل في حل مشكلاتهم الأسرية أحيانًا، علمته سنوات الحرب أن العمر أقصر من أن يتم تعقيد تفاصيله، لكنه حين تزوج اكتشف أن التعقيدات أكبر من أي عمر قصير، انشغل في حياته اليومية وعمله في مصنع الألبان الموجود في شبرا، يحاول أن يكفل لأبنائه حياة أفضل من البقية، يعتمد عليهم في أن يخلقوا هذه الحياة لأنفسهم، يدفعهم للنجاح.

لم يشعر «محمود» بغضاضة في أن يساعده والد «هنية» بمعاشه الذي يصل إلى ثلاثة آلاف جنيه، فهو رجل وحيد لم يعد يفعل شيئًا بهذا المبلغ الكبير. تقوم الابنة بصرف المعاش لأبيها فيرفض أن يأخذ منها أموالًا لأنها تحتاج إلى تلك الأموال أكثر، يطلب منها أن تساعد زوجها من دون أن يشعر حتى لا تجرح مشاعره، إلا أن احتياجات المنزل لم تكن تسمح برفاهية المساعدة الخفية، تخبره الزوجة بأنها

حصلت على المعاش بينما يتظاهر الاثنان أمام الوالد بطبيعة الدور الذي يريد أن يراه، فـ«محمود» الزوج الذي تساعده زوجته من دون أن يعرف، يكتفي الوالد بأن تشتري له «هنية» الدواء، وتجلب له طعامًا أسبوعيًا في شقته.

في الثالثة عصرًا اتصلت به الأم تخبره أن «وليد» يحتاج إلى مجموعة من الأوراق الرسمية عن مولدهما وزواجهما، ظل بقية ساعات دوامه في العمل يفكر في تلك الأوراق وأماكنها، يدرك أنه لم يخرج تلك الأوراق من الحقيبة التي يحتفظ فيها بمستنداته منذ زمن طويل، يساوره سؤال عما إذا كانت تلك الأوراق مفقودة، يتخيل ردود الأفعال الناتجة عن ضياع شهادة ميلاد أحدهما، أو وثيقة الزواج، لكنه يعود فيتذكر أنه لا يوجد سوى رد فعل واحد هو أنه سيعاود استخراج تلك الأوراق مرة أخرى؛ لأن الدرس الوحيد الذي تعلمه من خدمته في الجيش طوال أربع سنوات أن الجيش لا يتهاون في أوراقه.

يحاول أن يشغل نفسه في العمل حتى يتناسى الواجب الليلي الذي سيفعله لـ«وليد»، لكنه لا يستطيع. يتساءل لحظة: هل مر الزمن بهذه السرعة التي جعلت من «وليد» رجلًا يمكن الاعتماد عليه؟ تتداعى الأفكار فيسأل ما إذا كان «وليد» بالفعل رجلًا يمكن الاعتماد عليه، يخشى أن تكون الإجابة لا، يدرك أنه سيعرف قريبًا.

الحالة الاجتماعية للوالدين: مطلق

ربما لا يذكر «وليد» وإخوته جدهم لأمهم جيدًا، فقد توفي حين

كان «وسام» الصغير في عامه الثاني، تلتاع الأم وتنتحب فيواسيها «محمود»، لا يفكر المرء في تفاصيل الحياة في الأيام الثلاثة الأولى من الوفاة إلا أنه لا يطيق صبرًا بعد ذلك. جلست «هنية» على طرف السرير لتخبر «محمود» أن مؤجر شقة والدها يريد أن يسترجعها بعد وفاة والدها وأنها أعطته المفتاح، إلا أن «محمود» باغتها بالسؤال الذي لم تفكر فيه طوال الأيام الثلاثة الماضية حين سألها عن مصير ثلاثة آلاف الجنيه.

كان سؤاله يحمل قدرًا من الحيرة أكبر من الرغبة في الحصول على إجابة يعرفها جيدًا، فطبقًا للقانون لن يحصل أحد على المعاش مرة أخرى لأن ابنته الوحيدة متزوجة، أي أن هناك عائلًا لها، يشعر بمقت أن تعتبره الدولة عائلًا في الوقت الذي كانت تتقاسم فيه «هنية» مصروفات معيشة الأبناء واحتياجاتهم المدرسية معه، تنتقل الحيرة إلى «هنية» هي الأخرى لكنها باغتته باقتراحها: «ما تيجي نتطلق!». تسهب في شرح الاقتراح قبل أن يصفها الزوج بالجنون، تبدأ بالتأكيد على أن الأساس في الزواج هو الإشهار، وهما أمام جميع الجيران، بل والشرابية بأكملها، متزوجان، وأن الزواج في العهود القديمة وفي الأرياف لم يكن يستند على أي أوراق، وأنه بطلاقهما سيحلان مشكلة ثلاثة آلاف الجنيه، إذ ستحصل الابنة على المعاش بحكم القانون؛ لأنها بالأوراق الرسمية مطلقة. تلاقي الفكرة هوى في نفس «محمود»، لكنه يتردد، يضمها بين ذراعيه ويسألها أنه لن يستطيع ألا يحتضنها في أثناء نومهما لمجرد أنهما مطلقان، فأجابت لتضع حدًّا فاصلًا في شكل العلاقة الذي ترسمه بأنهما مطلقان أمام الدولة

فقط، ومتزوجان أمام الناس جميعًا، وعليه فإنها ترى أن ملامسته ومضاجعته لها حلالًا شريطة ألا ينجبا طفلًا آخر، ويكفيهما أنهما تمتعا بالبنات والبنين. يوافق «محمود» في اليوم الخامس لوفاة والدها أن يذهب في سرية إلى مأذون يطلقهما. يضع «محمود» الورقة في جيبه، ويعود إلى منزله مع طليقته.

أسماء الإخوة/ السن / الوظيفة/ الحالة الاجتماعية:

ولاء محمود فخر الدين الهلوتي / ٢٤ سنة / موظفة بإحدى الشركات/ متزوجة

وسام محمود فخر الدين الهلوتي/ ١٦ سنة/ طالب

في غرفة نوم الوالدين يجلس «وليد» على طرف السرير، بينما يجلس الأب على الأرض أمام الدولاب يستخرج الأوراق الرسمية التي يحتاجها ابنه. يحكي «وليد» عن يومه مع «ضياء» والمشكلة التي سيمر بها الأخير لاستخراج شهادة القيد العائلي. يستمع الأب وهو يعطي ظهره لـ«وليد» ويناديه أن يقترب. ينهض وليد ويخطو خطوتين، ثم يجلس على الأرض بجوار والده، يسلم له «محمود» شهادات مولده ومولد الأم ومولد الأبناء الثلاثة. يستفيض «محمود» بعدها في الحكي عن أخته الكبرى التي تخرجت في كلية التجارة، ومدى تعبه هو وأمه لتربيتها، ثم ينتقل إلى أخيه الأصغر ويتحدث عن المستقبل الذي ينتظره والمصروفات التي يتكبدها البيت كل شهر. يشعر «وليد» بملل من خطبة أبيه، لكنه لم يرغب في أن يحرجه. يخرج له «محمود» وثيقة طلاقه من أمه، ينتفض الولد

ويُذهل مما يقصه والده، تدمع عيناه، يحاول أن يستوعب الأمر، يمر بذهنه سؤال عابر عما يحدث على سرير والديه ليلًا كلما وقعت عينه على السرير، يتناسى ذلك حين يفكر في جيرانه وأصدقائه، يلتاع عندما يفكر في أخته وزوجها، عندما يفكر في التأثير الواقع على تركيز أخيه في مذاكرته إذا عرف. لا يمهله الأب وقتًا ليهضم مشاعره بصورة مُثلى، ينهض من مجلسه ويسجي جسده على السرير، يضع وسادة فوق رأسه كما اعتاد ويطلب منه أن يطفئ النور خلفه حين ينتهي. يتعجب «وليد» أن والده لم يطالبه بأن يبقى الأمر سرًّا، لم يطالبه بأن يحافظ على كيان المنزل أو الأسرة أو حتى ثلاثة آلاف الجنيه، فقد اكتفى بأن قص الموضوع ونهض ليدفن رأسه تحت الوسادة.

التوقيع: وليد محمود فخر الدين الهلوتي

على الرغم من اتفاقهما بأن يذهبا معًا، لم يمر «وليد» على «ضياء»، سيتحجج بأي حجة عندما يراه، يمسك بالأوراق في ملف واحد، بينما يضع قسيمة طلاق والديه في جيبه. حين سأله الموظف إن كانت هناك أوراق أخرى، أجابه بالنفي. أخرج إقرارًا بأن الموقع أدناه يقر بصحة البيانات التي جاءت في القيد العائلي. توقف «وليد» قليلًا أمام الإقرار وسحب ورقة القيد العائلي معللًا أنه سيراجعها قبل التوقيع على الإقرار، ثم تظاهر بأنه يلفت نظر الموظف بوجود خطأ في البيانات التي دوَّنها وأنه لم يدون أن والديه منفصلان، وأقسم له إنه أخبره من قبل حين أنكر الموظف أنه أخبره. وبتململ سأله

الموظف عن أصل وثيقة الطلاق حتى يعدل البيانات، فيخرجها من جيبه ويناوله إياها.

يخرج بورقة القيد العائلي من «الهايكستب»، ثم يعود إلى منزله شاردًا، يتظاهر بأنه لم يرَ «ضياء»، ويعتقد الأخير أن «وليد» يهرب من وليمة «البطة» التي تفوح رائحتها من منزل «وليد»، تسيطر رائحتها على «وليد» في أثناء صعوده السلم، وعلى السفرة تقبع الهدية التي انتظرها. تقتطع الأم قطعة لأخته وزوجها، ثم تناوله قطعة كبيرة، وتناول «وسام» قطعة، تدعوه أن يحصل على مجموع كبير حتى تعاود الكَرَّة. على طاولة الطعام يشكر الأبناء الأم على جودة المذاق، فتطالبهم أن يشكروا أباهم الذي يتعب من أجلهم، تشكره «ولاء» وزوجها، ثم يشكره «وسام»، بينما ينشغل «وليد» في لحم البط الذي يعشقه.

تحت أمرك يا فندم

«يا بنت اللبـ...».

«.. ما اسمحلكش إنك...».

«... مش وقته».

«اقفلي يا شر...».

«٠١٣٣».

تحاول «سمر» نسيان المشهد الذي يترآى لها أينما ذهبت، تمر لقطات عابرة تحاول أن تتغلب عليها بأن تبتر نهايتها، أو تقتطع بدايتها فتفشل، تدمع عيناها مرة أخرى، المرة الثالثة التي تدمع في الكافيتريا التي تجلس فيها انتظارا لـ«إياد» حيث اعتادت أن تنتظره في نفس المكان بـ«المعادي».

الصورة الغائمة التي تشكلها دمعة العين تجعلها عاجزة أن تدرك يقينًا إن كان رواد الكافيه يتابعون دموعها الصامتة. تشعر بحرقة في

مقلتها جراء العدسات التي ترتديها والتي تتفاعل مع دموعها، تحمر عيناها فيسوء الموضوع أكثر من ذلك. يقترب النادل من «سمر» ويسألها: «أي خدمة أقدر أقدمها لك يا فندم؟!».

«سمر مصطفى من «يونيون كومباني»..أي خدمة أقدر أقدمها لك يا فندم؟!».

«اخرسي.. يا بنت اللبـ...».

«...أنا ما اسمحلكش إنك...».

«... مش وقته».

«اقفلي يا شر...».

تحمل «سمر» حقيبتها وتذهب إلى الحمام، تقرر أن تغسل وجهها، تنظر إلى نفسها كثيرًا في المرآة، لا تزال تشعر بحرقة في مقلتيها، تبحث في الحقيبة على حافظة العدسات اللاصقة فلا تجدها، يبدو أنها نسيتها في المنزل، ترفع هاتفها المحمول وتسأل والدتها في مكالمة سريعة عمًا إذا كانت قد نسيتها بالفعل، فتجيب الأم بالإيجاب، تسألها الأم عن سبب اختلاف صوتها عمًا اعتادته، فتجيبها «سمر» بأنها ستعاود الاتصال بها مرة أخرى بسبب انشغالها في العمل، تعاتبها الأم قائلة: «اعتبريني واحد من العملاء اللي بتضيعي كل وقتك عشانهم».

«ممكن آخد من وقت حضرتك دقايق؟!».

«بخصوص..».

«اقفلي يا شر...».

«٠١٣٣٤٤٠١١٠٠».

«.. أنا ما اسمحلكش إنك...».

يرن محمولها برسالة محمول، فتظهر الشاشة رسالة من «إياد» يخبرها أنه سيتأخر لأن الطريق شبه متوقف على الطريق الدائري. كانت تدرك أن «إياد» سيتأخر قبل أن يخبرها، فموقع العمل كمهندس مدني يقوم بمتابعة أحد المشروعات الخاصة بتطوير طريق القاهرة الإسكندرية لن يمكنه من الوصول إلى المعادي قبل ساعتين على الأقل. تخرج من الحمام. تقف أمام عامل تحصيل الأموال، لا تطلب أن تصلها الفاتورة على طاولتها. تضع مبلغًا أكبر من المطلوب، وتهم بالانصراف، تستنشق الهواء في شارع النصر. تقرر أن تأخذ جولة داخل محلات الملابس والأثاث إلى أن يصل «إياد». ترفض أن تتعجله وهي التي أجبرته بمكالمتها الأولى وهي تبكي أن يترك عمله قبل موعده. رفضت أن تحكي له ما حدث، واكتفت بأنها في حاجة إليه، أخبرته أنها تجلس في الكافيتريا التي تبعد شارعين عن عملها، فأخبرها أنه سيتحرك حالًا، وطالبها أن تهدأ وداعبها بدعابة بسيطة لم تُضحكها، قال: «ما تعيطيش.. المكالمة ممكن تكون متسجلة لضمان جودة الخدمة».

«تحب تسمع معانا الأوفر اللي بنقدمهولك؟».

«.. أنا ما اسمحلكش إنك...».

«... من وقت حضرتك دقايق؟!».

تعجبها غرفة النوم التي يعرضها محل الأثاث، لو لم يكن مزاجها متعكرًا لعرضت على «إياد» أن يذهبا معًا ليشاهداها. تسأل البائعة عن سعرها فتصدمها السيدة بالمبلغ التي ترى أنه مبالغ فيه مقارنة بالغرفة. تعلل البائعة أن الغرفة «إيطالي»، وأن المشتري يمكن أن يحصل على خصم تصل قيمته إلى ٥٪ من قيمة الغرفة إذا كان يحمل بطاقات «إيزي باي» الشرائية. تسألها «سمر» عن الوضع بالنسبة لبطاقات «جولدن سيل»، فتخبرها البائعة أن الخصومات التي تقدمها تلك البطاقات تكون على الأثاث المصري فقط، وتمنح خصومات تصل إلى ٧٪ من قيمة السلعة، تضيف: «تحبي أفرجك على الأوض اللي عليها خصومات من جولدن سيل؟»

«بنقدم لحضرتك عرض..».

«يا بنت اللبـ...».

لم تتوقع «سمر» رد فعل «إياد». حاول أن يبدو هادئًا في الوقت الذي كان وقع كلامه عنيفًا، أخذ يعنفها ويذكرها بأن ترك الموقع الإنشائي في وقت حرج، وأنهم كانوا يستعدون لصب خرسانة أعمدة أحد الكباري العلوية التي يتم إنشاؤها ضمن مشروع تطوير الطريق، أخذ يركز على مدى أهمية عمله، وفداحة ما تركه خلفه مقارنة بما تحكيه، سألها عما يمكنه فعله في حالة كهذه. أخبرته أنها أرادت فقط أن يسمعها. سألها لماذا لم تختر المحمول لتحادثه، فأجابته أنها تشعر بعدم ألفة تجاه هذا التواصل اللاسلكي، تمل منه

بحكم عملها. تكره أن تتلقى مكالمات بعدما تنتهي من العمل وهو يعرف ذلك. تمسك يده فيفلتها، تدمع «سمر» فتزداد آلام عينيها. تحاول أن تتذكر إن كان أحد وجوه الكافيتريا التي رأتها تبكي منذ ساعة لا تزال في المكان. يدفع الحساب ويوصلها إلى منزلها القريب في حدائق المعادي. يظلان طوال الطريق صامتين، تصعد إلى المنزل، تخلع عدساتها اللاصقة، تشعر بألم كبير. يحاول «إياد» أن يصالحها فيطلبها على محمولها، تنظر إلى اسمه على المحمول وتغلق الصوت، تمامًا مثلما تفعل في العمل حيث تمنعها اللوائح من الرد على المحمول. تغلق غرفتها وتقول لوالدتها إنها ستتفحص بريدها الإلكتروني وتنام تحاول أن تنشغل بمعرفة آخر الأخبار على موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، تجد صورتها وهي ترتدي سماعات الرأس التي تضعها وهي تعمل قد حصلت على تعليق جديد من إحدى الصديقات قالت فيه: «يا مُزة عايزة أجدد الكارت بتاعي.. كلميني».

«سمر مصطفى من «يونيون كومباني».. ممكن آخد من وقت حضرتك دقايق؟».

«.....».

«بنقدم لحضرتك عرض.. كروت «جولدن سيل».. ودي كروت قيمتها بتبدأ من ٣٠٠.. وبتعمل لحضرتك خصومات في أكتر من مكان».

«اخرسي.. يا بنت اللبؤة».

«عيب كده.. أولًا المكالمة متسجلة.. ثانيًا أنا ما اسمحلكش إنك...».

«اقفلي يا شر...».

تحصل الشركة التي تعمل فيها «سمر» على بيانات العملاء من شركات المحمول من خلال قيمة الفواتير المدفوعة؛ لأن شركة «يونيون كومباني» تنتمي إلى أكبر مساهمي شركة المحمول. ترسل البيانات بحرص ودقة، تكتفي فقط بالاسم والوظيفة وقيمة آخر فواتير قام العميل بتسديدها، وبالتالي كانت الشركة تنتقي ذوي الدخول المرتفعة وأصحاب المهن المرموقة. تكتفي «سمر» بقراءة الاسم ومحادثة العميل الذي تقوم بعرض خدمات شركتها عليه، وتشغل نفسها أحيانًا في بناء صور للشخصيات التي تحدثها. تحاول أن تخمن مشاعر الطرف الآخر، تاريخه، آخر مواقفه قبل أن يصله هاتفها، إلا «محمود متولي» الذي يعمل مستشارًا في وزارة الثقافة، لم تستطع أن تتنبأ بما كان يفعله ويجعله يصل لرد الفعل العنيف الذي أبكاها. حين صدمت في المكالمة اتجهت إلى مكتب مديرها المباشر أخبرها أنه مشغول.. قال لها من دون أن ينظر إليها: «مش وقته»، لكنها ظلت واقفة دامعة، حكت له الموقف وهي عاجزة عن ذكر صيغة السباب. حاول المدير تهدئتها، بينما كانت مصرة على أن يتم مقاضاة الرجل بتهمة السب والقذف. سألها المدير عن كيفية إثبات سبته لها، فأخبرته بأن التسجيلات موجودة، صمت قليلًا، وأخبرها أن الشركة لا تسجل للعملاء لأننا نقوم

بتقديم عروض فقط. سألته عن الرسالة الصوتية التي تؤكد ذلك إذا ما حاول أحد العملاء الاتصال برقم خدمة العملاء، فأجابها أنها رسالة عادية لكن تسجيل المكالمات لا يجري في الحقيقة. تنهار «سمر» وتخرج في الكافيتريا القريبة، تشعر بنوع من المهانة، يتعمق شعورها بموقف «إياد»، فهو لن يتصل برجل لا يعرفه ليسبه حتى وإن كان سب خطيبته، يجد أن الموقف هزلي، وأنه مقحَم في أمر يجب أن تسويه شركتها وليس هو. يشرح لها ما يتم في أنظمة العمل العالمية. تدمع عيناها بمجرد تذكرها الموقف، تحاول أن تجد مبررًا للعميل أكثر من خطيبها، تضع احتمالات أنه قد يكون خرج لتوه من اجتماع عمل سيئ عندما وصلته مكالمتها، أو ربما سمع خبرًا صادمًا كحادث وفاة قبل أن تصله المكالمة. تتلاشى تلك المبررات حين يباغتها سؤال عن سبب رده من الأساس ما دام مشغولًا أو مكلومًا أو مصدومًا. تفكر في أن تتصل بهاتفه المحمول لتشتمه، لكنه يعرف عملها بالإضافة إلى أن منصبه القوي قد يجعله يشكوها في العمل، وهو ما تمنعه الإدارة لديها، فلا وجود لمحادثات شخصية مع العملاء، تشعر بانكسار، تنهض لتحضر قطرة وتحاول أن تضع بعضًا منها في عينيها لتخفف الألم الذي تشعر به. يرن هاتف محمولها فتجد أنه «إياد»، تغلق الهاتف نهائيًّا، تغلق الحاسوب المحمول وتضع رأسها على الوسادة. تدخل والدتها الغرفة وتفتح النور وهي تتساءل: «ما لك يا سمر؟ إياد مزعلك؟» تتمتم «سمر»: «مش وقته».

«اخرسي.. يا بنت اللبـ...».

«اقفلي يا شر...».

«... مش وقته».

«اخرسي.. يا بنت اللبـ...».

«اخرسي.. يا بنت اللبـ...».

«اخرسي.. يا بنت اللبـ...».

تسحب الأم الباب خارجة. تنهض «سمر» وتبكي في الظلام قليلًا، تقرر أنها لن تستطيع الذهاب إلى العمل في اليوم التالي بسبب عينيها المحمرة، تخرج من غرفتها إلى الحمام، تغسل وجهها مرة أخرى، تعاود فتح حاسوبها المحمول.

«اقفلي يا شر...».

تفتح موقع التواصل الاجتماعي.. تنظر إلى قائمة أصدقائها فتجدها تزيد على الألف..

«اقفلي يا شر...».

«المكالمة ممكن تكون متسجلة لضمان جودة الخدمة».

تستجمع ذاكرتها مرة أخرى لتتذكر كل تفاصيل المحادثة الصباحية، يقتل النسيان غالبًا الإحساس بالتعاطف، لذلك تشعر «سمر» لأول مرة بشعور من السعادة أنها لا تزال تتذكر الواقعة بكل تفاصيلها.

«اقفلي يا شر...».

«المكالمة ممكن تكون متسجلة لضمان جودة الخدمة».

«... ثانيا أنا ما اسمحلكش إنك...».

تبحث عن طريقة لتغيير الحروف من الإنجليزية إلى العربية على لوحة المفاتيح.. تبدأ في الكتابة في المربع الذي يصف حالتها الآن مجموعة من الأرقام.

«اقفلي يا شر...».

«المكالمة ممكن تكون متسجلة لضمان جودة الخدمة».

«... ثانيًا أنا ما اسمحلكش إنك...».

«اخرسي.. يا بنت اللبـ...».

«٠١٣٣٤٤٠١١٠٠».

تضيف بجوار الأرقام التي تألفها جيدًا عبارة: «الرقم ده بيعاكسني من الصبح يا شباب.. روقوه».

صاحب السعادة

لا أدري لماذا لم أعد أشعر بالسعادة مثل ذي قبل يا «فوزي».. أتساءل يوميًا في أثناء جلوسي بمفردي في الخدمة هذا السؤال، وتتحرك الأفكار في ذهني بصورة متضاربة متقاطعة، لكنها لا تقودني إلى أي إجابة، حتى قبل زيارتك لي الآن للاطمئنان عليَّ في أثناء خدمتي كانت الأفكار تعصف بي؛ لذلك قررت أن أشاركك إياها لعلك تفيدني، فأنت تعرفني وزاملتني في الخدمة في أثناء حراستنا لسفارة الـ«الجابون» طوال خمس سنوات، قضينا الليل معًا، وشربنا الشاي الصعيدي المغلي بسبرتاية الغاز، وتزاحمنا داخل الكشك الخشبي الصغير الذي يستقر على الرصيف خارج السفارة، وتلحفنا ببطانية جلبها لنا أحد موظفي السفارة في يناير الماضي، وتناولنا الفول والبيض، وشاهدنا مباريات المنتخب وبرنامج المسرح الذي لا نطيقه على التلفزيون المصري في التلفاز الصغير جدًّا الذي أعطته لك والدتك في زيارتك الأخيرة للشرقية، كنت أشعر بالسعادة على الرغم من ذلك ولا أدري لماذا لم أعد أشعر بها.

لا تتحامق يا «فوزي» وتخبرني أن السبب هو انفصالي عنك وانتقالي إلى حراسة ماكينة الصراف الآلي الموجودة على ناصية النادي الأهلي بمدينة نصر؛ لا يختلف حي مدينة نصر كثيرًا عن حي المهندسين الذي تقع فيه السفارة التي حرسناها معًا، نفس الفتية الذين يمتلكون جميعهم من دون استثناء سيارات، والفتيات يمتزن بجمال مفرط عما هو مألوف لدينا، لكنني لاحظت بحكم وحدتي في خدمة الماكينة ما لم ألحظه في أثناء خدمتنا معًا بخصوص الفتيات، أغلبهن يرتدين أحذية ذات كعوب عالية، فيبدون أطول قامة، منذ أيام حين دخلت فتاة في أواخر العشرين من الباب الزجاجي الذي يحجز غرفة الماكينة الآلية التي أجلس على طرفها، كان صوت كعب حذائها يطرق إيقاعًا مكررًا يلفت الانتباه، ويجعل مؤخرتها أكثر بروزًا واستدارة، وأكثر إثارة، حين أدركت أنني أنظر إليها وهي تخرج بطاقة الصراف الآلي من حقيبتها، حدقت بي بنوع من الاشمئزاز، السيدات حين يدركن وجودنا يشعرن بالاشمئزاز، أكاد أجزم أنني لم أنسَ نظرتها إلى الآن بدرجة تجعل صورة كعب حذائها ومؤخرتها تتلاشى من ذاكرتي.

لا تغيظني بأنك تشاهد التلفاز من دوني يا «فوزي»، لقد كان صغيرًا جدًّا يجعلنا لدرجة جعلتنا لم نشاهد هدف فوز مصر بكأس الأمم الإفريقية عام ٢٠٠٨، فأنا أستمع إلى الراديو الآن، ما زلت أيضًا لا أشاهد الأهداف لكنني أعرف بوجودها. أصبحت متابعًا لمباريات الدوري العام. أشجع الأهلي بحكم التعود، في مباراته الأخيرة أحرز هدفًا من تسديدة قوية خارج خط الثماني عشرة ياردة

اخترقت الشبكة. رأيت الجماهير وهي تحتفل عند سور النادي الذي يقع على الجهة المقابلة للشارع، حين قاموا بتحليل الهدف وصفوه بأنه رائع، حتى المشجع الذي عبر الشارع ليصرف بعض الأموال تعجب أنني لم أرَ الهدف، على الرغم من أنه وجدني متحمسًا بفعل حماسته وحماسة بقية الجماهير بجوار السور، سألني في أثناء انشغاله بصرف مبلغ كبير عن رأيي في الهدف، فأخبرته بحالة من الارتباك أنه رائع.. لم أجد سوى هذه الكلمة لأقولها، وعلى الرغم من ذلك خرج ولم يعطني بقشيشًا.

دائمًا ما كنت تشعر بالغبطة يا «فوزي» تجاهي لأنهم نقلوني أخيرًا من العمل في حراسة سفارة الجابون؛ إلى هذه الحراسة لحماية الماكينة، أشعر أن المهمة أصعب، على الرغم من شعورك بالعكس، فلا أحد يحمل ضغينة أو مطمعًا لدى سفارة «الجابون»، وأتذكر أنني في عامي الأول لم أكن أعرف اسم السفارة التي نحرسها معًا، وكنت تنطق أنت الجيم كافًا، لكن الماكينة تحمل مطمعًا لدى البعض. في الفترة الأولى حين كنت أجد شابًّا يرتدي «شورت» و«شبشب» ويدخل إلى الغرفة الزجاجية أتحسس بندقيتي، لكنني أجده يخرج البطاقة الإلكترونية، ويدخل الرقم السري بكل ثقة ويحصل على أمواله، ويخرج وهو يلقي السلام أو يضع جنيهًا ورقيًّا في يدي، بينما يلقي البيان المالي في سلة المهملات المجاورة وربما يخرج من السلة. أصبحت أستشعر بغضاضة في أن أمد يدي حينما يهم أحدهم بإعطائي بقشيشًا بعدما انتشرت الجنيهات المعدنية، لا أدري سبب جفائي للعملة المعدنية، ربما لأنني كنت أشغل وقتي في فرد

الورقة المالية بعدما يخرج واهبها، أقلب الورقة التي أمسكهابيديَّ بكلتا يديَّ، وأقبلها وأضعها في جيبي، بينما تقبع العملة المعدنية في جزء صغير من راحة يدي. في المساء لم أكن أجد شيئًا يسري عني، أدير بعض الأغنيات القديمة التي تأتي مشوشة من الراديو المتهالك، وأسحب سلة المهملات البلاستيكية الحمراء بجواري، أقوم بجمع إيصالات المبالغ التي تم صرفها، أقوم برص الإيصالات بعضها فوق بعض، وأتلذذ بالنظر إلى القيم المصروفة حتى يؤذن الفجر وتبدأ السماء في التحول من السواد إلى الزرقة، أطمئن لزرقة الفجر فأغفو قليلًا.

لم أعد أشرب شايًا مثل ذي قبل يا «فوزي»، لكنني لا أعتقد أن هذا هو سبب عدم سعادتي، فإدارة البنك تمنعني بالتأكيد من الاحتفاظ بموقد كيروسين داخل الغرفة التي تحتوي على ماكينة الصراف الآلي. الغرفة مكيفة بدرجة حرارة ثابتة صيفًا وشتاء تجعلني لا أحتاج إلى البطانية التي كنا نتصارع عليها في أثناء الحراسة الليلية للسفارة، ولا تجعلني أتصبب عرقًا في ليالي الصيف الحارة، لا ترهق غفوي الذي كنت أختلسه أمام السفارة حين تقف سيارة تضم مجموعة من الشباب ليلًا، أصروا على رفع صوت موسيقاهم الأجنبية. هنا لا يوجد سوى صافرات الماكينة التي تطالبك باتباع التعليمات، أو هدير الصرافة حين تخرج أموال، والصوت الذي لا يتكرر كثيرًا هو صوت الصافرة التي تصاحب التهام الماكينة للبطاقة الإلكترونية في حالة حدوث خطأ معين أو تقني، حينها يصاحب تلك الصافرة ردود فعل مختلفة ممن حدث له الأمر؛ البعض يطرق الماكينة بيده، والبعض يضغط

الأزرار بعنف، إلا أن جميعهم يشعرون بالغضب وخيبة الأمل. وبقدر تعاظم خسارتك أو احتياجك يتعاظم غضبك، البعض يصب غضبه عليَّ، وربما يلقي سبة وهو يخرج من الغرفة الصغيرة، لكنني حين غضبت مثلهم عندما تأخرت المكافأة الأخيرة التي ننتظرها بمائتي وخمسين جنيهًا منذ ثلاثة أشهر لم أستطع أن أسب الموظف المسئول خوفًا من أن يشكوني للضابط. كانت والدتي تقول لي إن دمِث الخلق يموت سعيدًا، لكنها لم تخبرني إن كان سيحيا سعيدًا أم لا، لكنها دائمًا ما كانت تجزم بأن السعادة ستأتيه في وفاته يا «فوزي».

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥

عن الرجل الذي لا يضع نجومًا فوق كتفه:

التاسعة والنصف ليلًا، على الجانب الآخر من شارع «سوريا» في تقاطعه مع «جامعة الدول العربية»، خارج السور الأخضر الصغير الذي يفصل الشارع عن مسجد «مصطفى محمود»، يفترش عدة مئات من السودانيين اللاجئين حديقة «مصطفى محمود» منذ فترة لا أذكرها، ولا أعرف تحديدًا السبب الذي يجعلهم يفعلون ذلك، قرأت مرة على الإنترنت أنه اعتصام لسبب ما، أنتظر صديقي الذي أوكلته مهمة البحث عن فتاة أو اثنتين؛ لنقضي معهما سهرة تليق بالليالي الأخيرة لشهر ديسمبر حيث ينشطن في تلك الأيام التي تفصلنا عن رأس سنة ٢٠٠٦. أحمل في يدي كيسًا أسود يضم زجاجتي «آي دي»، وأتأمل ميدالية مفاتيح شقة أختي التي تعيش مع زوجها في السعودية، وتقع بجوار مسرح البالون في العجوزة، محمولي اللعين انتهى شحن بطاريته فصار أصم أبكم بلا فائدة.

أتشاغل في عد المعتصمين السودانيين، أخطئ في العد فأعاود

من جديد. أنشغل هذه المرة بعدِّ عربات الأمن المركزي التي تملأ المكان، والعساكر والضباط الذين يجلسون على بعد أمتار، يخيل إليَّ أن عدد عساكر الأمن المركزي أكبر قليلًا من عدد المعتصمين ذاتهم. أعاود عد المعتصمين فأعتقد للحظات أن عددهم يصل إلى نحو ألفي سوداني. أدقق النظر في ملابسهم وعلاقاتهم وأطفالهم، يراودني هاجس يتعلق بما يراه الرجل النحيل الذي يرتدي «تي شيرت» واسعًا في المرأة التي تجاوره بما يثيره جنسيًّا لينجبا هذا الطفل البائس. يذكرني الهاجس بالنظر في اتجاه شارع «سوريا» حيث سيجيء صديقي بسيارته وفتياته، في الوقت الذي يتحرك فيه عسكري يرتدي ملابسه السوداء ويبدو أنه عسكري أمن مركزي، يميل تجاه السيارات التي تقف ملاصقة للرصيف ويأمرها بالانصراف. تخبره سائقة السيارة «السوزوكي» التي تقف خلفي مباشرة أنها تنتظر والدتها، يعلن العسكري عن عدم تفهمه لعذرها بأن يطرق الحقيبة الخلفية للسيارة بيده بقوة، وهو يتجه إلى السيارة التي تليها. ينظر إليَّ وهو يقول: «اتفضل يا أستاذ من هنا»، أسأله عن السبب فيقول بلهجة جافة: «اتفضل يا أستاذ من هنا»، أتظاهر بالتحرك وعيني تتابعه قبل أن يتجه إلى سيارة «تويوتا» حيث يجلس شاب وفتاة، ويبدو أنهما مرتبطان عاطفيًّا أو مخطوبان، يكرر الجملة التي يقولها العسكري، فيخبره الشاب أنه سينصرف بعد عشر دقائق، يكرر العسكري جملته بلهجة جافة، فيرمقه الشاب بنظرة غير مهتمة، قبل أن يعلن العسكري عن عدم تقبله للأعذار بالطريقة التي يحفظها فيطرق بيده على الجزء الأمامي

من السيارة، قبل أن يصرخ الشاب فيه: «شيل إيدك من على العربية يا ابن الكلب».

عن الرجل الذي يضع نجومًا فوق كتفه:

العاشرة، يبدو أن صديقي ستفوته مشاهدة مشادة حقيقية تليق بمنطقة المهندسين، فما إن سمع ابن الكلب هذه العبارة حتى اتجه غاضبًا وهو يقول بلكنته الفلاحي المميزة: «إنت بتقول لمين كده؟». صدمتني الجملة وأدركت أن هذا العسكري لن يتشاجر، وأن صديقي لن تفوته أي مشادة، فلا تعتبر تلك الجملة افتتاحية معركة بين الطرفين، وإنما نوعًا من جس نبض العسكري لعدوه المجهول الذي تجاسر وسبه على مرأى ومسمع من البعض. حين يتقدم العسكري خطوتين تجاه باب السيارة الذي فتحه الشاب ووقف بنصف جسده خارج السيارة، يكرر الجملة التي سبق أن قالها: «إنت بتقول لمين كده؟». أميز أنه ينطق القاف جيمًا فأعرف بأن هذه الخناقة لن تتم، يقول له الشاب: «عشر دقايق وماشي». يدخل سيارته وينظر تجاه فتاته قبل أن يخبط العسكري بيده على السيارة قائلًا: «لأ هتمشي دلوقتِ ورجلك فوق رقبتك». هنا يخرج الشاب من سيارته بسرعة كبيرة ويرفع يده ليهوي بها على وجه العسكري وهو يصف أمه بأنها «مَرَة»، ثم يضيف «إنت مش عارف بتكلم مين يا ابن...»، هذه المرة وصفها بالداعرة.

يتفاجأ العسكري من ثقة الشاب، ويتجمع خمسة أفراد، ينظر مجموعة من السودانيين تجاه المعركة التي ستفوت صديقي، أدقق

النظر من خلال باب السيارة المفتوح فألتفت إلى أن الفتاة جميلة بحق، وأن الزجاج المغطى بطبقة سوداء عازلة منعني من رؤيتها بدقة، ومنعني كذلك من رؤية بذلة سوداء مميزة على شماعة الكرسي الخلفي لها، بذلة تحتوي على نجمتين فوق كتفها الذي أراه من زاويتي، بذلة ضابط.

عن الرجل الذي يضع النجوم تحت قدميه:

العاشرة وعشر دقائق، وسط حالة الجلبة التي غطت المشادة، وبكاء العسكري وخروج صوته متحشرجًا منهنهًا بعبارة واحدة: «بتضربني ليه؟ بتضربني ليه؟». يسأل رجل كبير الضابط عما فعله العسكري، ويشعر الثاني بتعاطف مع الشاب الذي لا يدرك أنه ضابط وإنما مجرد شاب عادي استطاع أن يضرب العسكري، ويحاول الثالث تهدئة العسكري مواسيًا بأنه من المحتمل أن يكون أخطأ أو تطاول عليه من دون أن يلاحظ.

يتمادى الشاب في سبابه، ينعت الأم بكل ما لن تطيق الأخيرة سماعه أو معرفة أنها نُعتت به أمام المئات من المعتصمين السودانيين. يقترب ضابط كبير في السن، يضع سيفين فوق كتفه، للحظات شعرت بقلق من زجاجتي الخمر اللتين أحملهما، ينظر إلى طرفي العراك ويسأل العسكري: «فيه إيه؟». يبدأ في النهنهة ويتمتم بعبارات غير مفهومة فينهره وينظر إلى الشاب بثقة ويقول: «تعالَ ورايا». يتحرك خطوات نحو كرسيه البلاستيكي الذي يبعد نحو عشرة أمتار من السيارة. يغلق الشاب باب السيارة ويتبع ذا السيوف، ويخشى الرجال

الذين اجتمعوا للتهدئة الذهاب لأنهم لم يُدعَوا، بينما أتحرك خلفهم على بعد مترين منهما لأكمل، يكرر ذو السيوف سؤاله وهو جالس مرة أخرى فيتلجلج العسكري في إجابته بينما يستجمع الضابط ثقته ويقول بهدوء: «يرضيك يا باشا إن العسكري ده يشتمني.. لو كان قاللي بالذوق امشي أنا كنت مشيت». ينظر العسكري إلى ذي السيوف ويحاول أن يدافع عن نفسه ويضع كلمتي «والله يا باشا» بين كل جملة يقولها، أتأكد أن هذا العسكري على الرغم من انتمائه إلى الأمن المركزي لا يجيد بدء المعركة، أو توجيهها بشكل صحيح، سكت حين عرف أنه «ابن الكلب»، ثم حصل على صفعته مع مجموعة من الصفات المميزة لوالدته. أتدخل من دون أن يطلب مني أحد الحديث: «بعد إذنك يا باشا»، ينظر إليَّ ذو السيوف، فأقول: «أنا كنت موجود واللي حصل إن الراجل ده ضرب العسكري ده وشتمه بالأب والأم وقال له انت مش عارف أنا مين». يهز ذو السيوف رأسه، ويتمسك العسكري بهذا الدعم فيمسك بخيط الحديث ليحكي ما حدث له، لا يعطي ذو السيوف أي انطباعات، ووجهه كقطعة جليد، ينظر إلى الضابط فقط، ويقول من دون أن أخبره أو يخبره أحد إنه ضابط: «هات كارنيهك». يتمتم الضابط بعبارات: «يا باشا أصل...» ليقطعها ذو السيوف بـ«هش»، ويضيف: «مش عارف انت جبت الجبروت ده منين.. إنت عارف إن الغلبان ده واقف هنا بقاله ٨ ساعات ولسه عنده شغل مع ولاد الوسخة دول»، يشير تجاه المعتصمين، ثم يكمل: «عشان ٤٨٠ في الشهر، وبعدين انت ازاي تضرب عسكري في خدمتي؟!». ينظر

في بطاقة هويته في الداخلية ويمسك محموله وهو يقول: «تضرب عسكري عندي في خدمتي.. شوف لو آخر يوم ليَّ في الداخلية النهارده هاربيك.. ألو.. أيوه يا حبيب بيه.. عندي واد كده مش عارف أبوه مين.. هاتعامل معاه.. أوامرك يا باشا».

عن الرجل الذي لم أره:

الحادية عشرة إلا الربع، حين أغلق ذو السيوف محموله قال للضابط: «قرفص». لم يفهم الضابط، فأعاد ذو السيوف عبارته مؤكدًا: «قرفص وارفع إيديك لفوق». يجلس الضابط مقرفصًا ورافعًا يديه إلى أعلى، أرى الفتاة قد تركت السيارة، ووقفت تشاهد المنظر وهي تبكي وتنادي اسم الضابط، يصرخ فيها الضابط وهي تبكي ويقول لها أن تأخذ السيارة وترحل، يعز عليها أن تراه هكذا فتقف عاجزة باكية، رجلان أيضًا يتابعان المشهد، بينما انشغل السودانيون في تدفئة أنفسهم والنوم. يصرخ الضابط في الفتاة، ويتحسس العسكري وجنته التي احمرت بفعل الصفعة، وينظر ذو السيوف إلى الضابط آمرًا إياه بالسكوت، ويضيف: «كل اما تكبر.. خلِّي بالك إن فيه صغيرين تحتيك». يضع يديه حول مسندي الكرسي البلاستيك ويهم بالنهوض: «ما تضربش عسكري غلبان في خدمتي تاني.. وانت - قاصدًا العسكري - دوَّر على الخدمة». يتجه ذو السيوف إلى قواته التي تقف بالقرب من الحديقة، يظل الضابط مقرفصًا، وأهم بالانصراف بعد أن رأيت سيارة صديقي ومعه فتاة واحدة.

في الخامسة صباحًا أخرج من الغرفة متعبًا، وأترك الفتاة مع

صديقي بالداخل وأنا أسمع أصوات أنَّاتها، أفتح جهاز الكمبيوتر الخاص بي، الصفحة الرئيسية إخبارية لا أقرأها دائمًا، يلفت نظري صورة للرجل الذي لم أره على الجانب الآخر من الهاتف، وبجواره خبر عن فض المعتصمين السودانيين بالقوة، وسقوط عدد من القتلى، أتخيل أوامره لذي السيوف، وأتخيل أوامر ذي السيوف لأصحاب النجوم، يرهقني الخيال، فأضع الزجاجة التي أشربها جانبًا وأمدد جسدي على الأريكة استعدادًا للنوم.

ضهر الفرس

يقف «خالد» و«عبد العزيز» خارج محل الوجبات السريعة الموجود على ناصية شارع الخليفة المأمون يدخنان السجائر، في الدقائق القليلة التي تفصلهم عن عرضهم وتفصل الشمس عن المغيب، تمر من أمامهما فتاة ترتدي «بنطلون جينز» يبرز مؤخرتها، ويلعب الحذاء ذو الكعب العالي دورًا في ذلك، يطلق «خالد» صافرة بينما ينفخ «عبد العزيز» دخان سيجارته ويعلق: «فَرَس!».

يلتفت «خالد» للكلمة فيرفع حذاءه بقرب يديه ويقتل فلتر سيجارته المشتعل، ثم يلقيه على الأرض وهو يقول: «بمناسبة الفرس ما اتفقناش مين فينا هيكون ضهر الفرس النهارده؟».

يرن محمول «عبد العزيز»، فيشير له «خالد» أن ينتظر. يرد بصوت خفيض. ينظر إلى «خالد»، ثم ينظر يساره في اتجاه السيارات القادمة قبل أن يعبر في اتجاه الجزيرة الوسطى للطريق، تحدثه «منى» أنها ستقابله الليلة بعد أن ينتهي من عرضه مع فريق العرائس في عيد

الميلاد الذي يقوم بإحيائه، تحاول أن تغلق الخط مسرعة حتى لا يلمحها والدها، بينما يسألها «عبد العزيز» وهو يحدق في «خالد» الذي أشعل لفافة تبغ ثانية: «هانتغدى سوا؟». تتدلل «منى» وتطالبه أن يفكر في مكان مناسب للغداء إلى أن تستطيع النزول عندما يخرج والدها لقضاء أحد المشاوير.

يعبر «عبد العزيز» مسرعًا ويقول لـ«خالد»: «شكلك هاتلبس ضهر الفرس». يتضايق «خالد» ويطالبه بإجراء قرعة كما اعتادا، يرفض «عبد العزيز»، ويقول: «إحنا مش اتفقنا إن اللي بيطلع ضهر الفرس هو اللي بياخد الوجبة الزيادة في عيد الميلاد، نعمل قرعة ليه، أنا متنازل عن الوجبة، وبعدين بقه معييش شلن».

حين تصدح «نانسي عجرم» بـ«شخبط شخابيط» تبدأ الفقرة الأولى لفريق العرائس المكون من «خالد» و«عبد العزيز» ومساعد ثالث يقف خلف الكالوس الخشبي الصغير الذي يضعونه في المطعم. يرتدي «خالد» زي «بكار» في هيئة عروسة، يساعده المساعد في وضع الرأس النوبية العملاقة فوق رأسه، ويرتدي «عبد العزيز» زي «سلاحف النينجا». يمسكان أيدي الأطفال، عيد الميلاد لطفلة في الرابعة من العمر تحاول والدتها أن تبدو أصغر من عمرها الحقيقي، ترتدي بلوزة سوداء بحمالات رفيعة وبنطلونًا ضيقًا، تميل لضبط ملابس الطفلة فترتفع البلوزة قليلًا، ينظر إليها «خالد» و«عبد العزيز»، كلاهما يدرك أن الآخر يفعل ذلك على الرغم من أن الرأس الضخمة تعيق نظراتهما عن اللقاء مباشرة. يمسك «خالد»

في يد الأطفال في شكل دائرة، ويدعو «عبد العزيز» الأم والأب وأصدقاءهما للاشتراك.

يعرف «خالد» و«عبد العزيز» أن الآباء لا يشتركون في الدوائر الراقصة، ويصبح حظهم عظيمًا عندما تشارك الأم وصديقات بعضهن الحسناوات، يمسك «خالد» يد الأم من ناحية ويد أحد الأطفال من ناحية أخرى، يشعر بسعادة غامرة على الرغم من أن القماش الكثيف المشعر الذي يرتديه في كفه لا يجعله يشعر بملمس يد الأم.

يتناوب «خالد» و«عبد العزيز» مع كل أغنية الدخول إلى الكالوس لارتداء زي جديد. يرتدي «خالد» إحدى شخصيات «عالم سمسم»، ثم يرتدي «عبد العزيز» شخصية من «السنافر»، ويعود «خالد» لارتداء زي «ميكي» ويرتدي «عبد العزيز» زي «ميني»، وحين تبدأ موسيقى «المزمار البلدي» يشترك الاثنان في زي واحد وهو الفرس العربي، حيث يقف أحدهما في الجزء الخاص برأس الفرس وقدميه الأماميتين، بينما يميل الآخر بضهره ممسكًا في قميص الأول ليشكل ضهر الفرس وقدميه الخلفيتين.

جرى الاتفاق بين «خالد» و«عبد العزيز» على أن يتناول من يلعب دور ضهر الفرس وجبة وحيدة يكفلها المطعم للفريق بأكمله المكون من ثلاثة، وكانا قبل هذا الاتفاق يتملصان من دور ضهر الفرس تمامًا، وتعاركا مرتين قبل ذلك، يحمل أحدهما قرشًا معدنيًا في يده ويجري قرعة ليحصل بمقتضاها الفائز على ضهر الفرس والوجبة.

تعتبر فقرة الحصان هي الفقرة النهائية فيما يتعلق بشو العرائس

الراقص قبل أن يرحل الفريق تاركين المكان للساحر أو المهرج، يعشق الأطفال هذه الفقرة. مشكلة ضهر الفرس أن مدة موسيقى «المزمار البلدي» تستمر سبع دقائق، يحاول خلالها الأطفال بمعاونة ذويهم امتطاء ضهر الفرس لأخذ صور، أو لممارسة هواية ركوب الخيل الوهمية، يحمل الآباء أطفالهم ليضعوهم على ضهر الفرس الذي غالبًا ما تسبب له الفقرة ألمًا شديدًا في ظهره، وتستغل الأمهات انشغال أطفالهن بهذا الفرس في إقناعهم بتناول قضمة إضافية من الساندويتش، ولا مانع من إغراء إضافي بالمياه الغازية، فتطول فترة بقاء الطفل فوق الفرس.

تخرَّج «عبد العزيز» في كلية الآداب، وكان أحد أعضاء فريق المسرح، بينما لم يكمل «خالد» دراسته الثانوية. يشعر «عبد العزيز» بينه وبين نفسه أنه لا يجب ـ على الرغم من أن ظروفه المادية المتشابهة مع خالد ـ أن يكون ضهر الفرس، يعمل في هذه المهنة، لأنه يحصل على ١٥٠ جنيهًا نظير ساعتين من العمل، وتكفيه عشرة أعياد ميلاد شهريًا تزيد في أشهر الصيف على تحمل نفقاته.

يواعد «عبد العزيز» «منى» ـ شقيقة «خالد» ـ منذ سبعة أشهر، لم يفكر في الارتباط بها رسميًا؛ لأنه لا يستطيع ذلك ماديًا، ولأنه يشعر أنه أفضل من تلك العائلة التي يعمل والدها كصاحب ورشة سيارات، ولأن دبلوم الصنايع الذي حصلت عليه «منى» منذ عامين لا يجعله فخورًا بها، ينتظر أن ينتهي من عيد الميلاد حتى يتناول إحدى الوجبات السريعة في أحد المحلات التي لا يزيد فيها سعر

الوجبة على ٢٥ جنيهًا، يتلذذ لمدة نصف ساعة بأن يمسك كفها، ويحدثها عن يومه، بينما تحدثه هي عن خوفها من معرفة أخيها أو أبيها.

قبل أن تبدأ فقرة الفرس يتذكر «عبد العزيز» أن «منى» سبق أن أخلفت موعدها معه في اللحظات الأخيرة؛ لأن والدها لم ينزل إلى عمله، أو لأن والدتها طالبتها بمساعدتها في تنظيف الشقة. يتشكك فيمسك محموله ربما تكون بعثت برسالة، لا يجد شيئًا، يعلوه الشك أكثر، ينظر إلى أخيها الذي يرتدي ملابس «سبايدر مان» وخلفه طفل بدين أسقط جزءًا من ساندويتش البرجر على الأرض، تهم والدته لتمنعه من التقاط الساندويتش من الأرض، تنحني فتتحرك عيناه لا إراديًّا إلى مؤخرتها المكتنزة، يحاول الهرب بعينيه، فيركز عينيه على البرجر، تنطلق موسيقى المزمار البلدي، يدخل «خالد» إلى الكالوس قبل أن يعنف «عبد العزيز» بصوت خفيض: «إنت لسه ما لبستش الفرس». ينظر «عبد العزيز» إلى «خالد» قليلًا وكأنه لا يسمعه، يفكر في الوجبة التي تنازل عنها طواعية فتسيطر على تفكيره أكثر من «منى»، يعنفه «خالد»، فيمد «عبد العزيز» يده في جيبه ويبحث في بنطلونه عن شيء ما، يخرج عملة فضية وينظر إلى «خالد» قائلًا: «تلاعبني على ضهر الفرس؟»».

@yassereldaba

ياسر الضبع

مستشار لجريدة الوطن الإماراتية

عمل رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير أكبر المؤسسات القومية في مصر

Studied Journalism at cairo university faculty of mass communication
Lives in Cairo, Egypt
Married to nadia 30 May 1961

خالد أبو العزم:

لماذا تختفي اليوم يا سيد ضبع.. هل وجدت ما يشغل يومك بدلًا من ذم ذلك على الإنترنت أو تشويه الآخرين؟

about an hour ago · Like _ Comment
pheeby morees:

هل تعلم يا سيد ضبع أن الضبع حيوان قليل العدد، قبيح المنظر،

مولع بأكل الجيف، بل ربما زاحم السباع الأخرى على أكل الفرائس (منقول).

Yesterday at 21:49 _ Like

هاني عبد العزيز:

الأستاذ ياسر أرقى من هذا الحديث ولن يرد على هذه العبارات.

Yesterday at 21:52 _ Like

Radwa mahmoud:

3eeb kda

Yesterday at 21:55 _ Like

خالد أبو العزم:

بالعكس أتوقع أن يرد؛ لأن الضبع لم يعد يملك شيئًا يفعله في يومه سوى أن يرى هذا التهاوي الحادث في حياته، رجل دخل المؤسسة كرئيس تحرير متعجرف وخرج وهو مطرودًا من صحفييه وعماله.. أتخيله أحيانًا يشاهد هذا الفيديو ليلًا معللًا لنفسه أن من فعلوا به ذلك سيكتشفون خطأهم قريبًا.

Yesterday at 22:11 _ Like

ياسر الضبع:

اكتشاف الأخطاء يتراءى للجميع يومًا بعد يوم، والأيدي اللاعبة في مصر كثيرة، وستتكشف مع الأيام بين إيران وحزب الله.. وسوف تقرأ ذلك في كتابي الجديد الذي أعده.

Yesterday at 22:18 _ Like

الحاج إبراهيم أبو السعود:

إحنا منتظرينه يا ياسر بيه.. بالتوفيق.

Yesterday at 22:20 _ Like

خالد أبو العزم:

مش قلت لكم هيرد.

Yesterday at 22:23 _ Like

pheeby mores:

هل تعلم أن الضباع تصرخ أو تعوي للأسفل؛ أي في اتجاه الأرض وليس في اتجاه الأعلى.. السماء (منقول).

Yesterday at 22:35 _ Like

خالد أبو العزم:

عزيزي الضبع، لا تتوهم أن الآخرين ينتظرون كتابك أو شهادتك.. أنت تكتبها لتعوض إحساسك المفتقد بغيابك عن السبع صفحات اللاتي تكتبها بمفردك في الجريدة وقت كنت رئيس تحرير.. وكنت وقتها أيضًا تتوهم أن البعض ينتظرك.

Yesterday at 22:53– Like

تيمور السيد:

دعوة لكل الصحفيين الأوفياء اللي اتعلموا حاجة من الأستاذ ياسر

أو كان سبب في دخولهم بلاط صاحبة الجلالة.. عايزين نشوف احنا كام واحد بيحبه.

Sunday at 18:07 _ Like.
Wael Reyad:
F**k
Sunday at 18:07 _ Like

ابتهال عبد العزيز:

أشكرك يا أستاذ ياسر وأحبك.

ياسر الضبع:

أشكركِ ابتهال.

Sunday at 18:09 _ Like
Ghada Farouk:

ما تبطل هبل يا ابني.

Sunday at 18:12 _ Like
Hiedi Galal:
3alm fate2a
Sunday at 18:13 _ Like
Shorouk Khalil:

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.. انشرها بقدر حبك للنبي.

Sunday at 18:19 _ Like
Adel shedeed:
Ana b7bk ya mr. Yasser. thx 4 everything
Sunday at 18:47 _ Like

ياسر الضبع:

أشكرك يا عادل.. أنت رسام كاريكاتير موهوب.

Sunday at 18:47 _ Like

محمد عوني:

أشهد بأنني لم أتعلم في الصحافة مثلما تعلمت منك، فإنك أستاذي ومُعلمي.

Sunday at 18:51 _ Like

ياسر الضبع:

أشكرك عوني.

Sunday at 18:52 _ Like

خالد أبو العزم:

كيف يمكنك أن تصف انتظارك طوال ساعة كاملة لكل عبارة إطراء لتشكرها على قلّتها.

Sunday at 18:58 _ Like

ياسر الضبع:

MouridBarghouti@: أيها الذكر: لست أفضل من الأنثى لمجرد أنك لا تحتاج إلى سوتيان....... يا سلام على الإبداع !!!!!!!!!!!!

@yassereldab3 on Twitter · Sunday at 17:01 via Twitter

ياسر الضبع:

الشاعر الذي يلقبه مريدوه بالكبير، مريد البرغوثي، فى حالة ثورية مذهلة. أعانه الله على قاموسه.

Sunday at 17:02 ـ Like.
Karim Ebrahim:
Lol elseneen
Sunday at 17:02 ـ Like.
Alaa youssief:

يا عم اتلهي منك له.. صدعتونا.

Sunday at 17:14 ـ Like
Ahmed ebrahim:

والله اللي مفروض يتلهي الراجل اللي كان بيستفزنا كل يوم في جورنانه.

Sunday at 17:15 ـ Like

خالد أبو العزم:

ما شعورك وأنت تخوض هذه المعارك الفكرية العظيمة يا ضبع.. هل تذكرك بصراعاتك الصحفية التي انهزمت فيها؟

Sunday at 17:36 ـ Like

تيمور السيد:

أموت واعرف انت عامل راسك براس الأستاذ ليه.. أنا واحد من اللي اتعلموا على إيده الصحافة وفخور إني عملت معاه بجد!

Sunday at 18:05 ـ Like

ياسر الضبع:

أشكرك تيمور.

Sunday at 18:06 ـ Like

ياسر الضبع:

إذن دعونا نواجه السؤال الافتراضي أو السيناريو المعاكس؟ هل ترون في شخوص النشطاء أو من يطلقون على أنفسهم نشطاء إلكترونيين من يصلح لأن يتولى مقاليد الأمور بعد ٦ أشهر من البيانات والبيانات المضادة؟

@yasserelsharkawy on Twitter · Sunday at 16:17 via Twitter

الحاج إبراهيم أبو السعود:

ياسر بيه.. دول كبيرهم يجتمعوا عند الصاوي مع مرشحين الرئاسة ويطلعوا بيانات وكالعادة... والله حلوة ساقية الصاوي دي.

Sunday at 16:17 ـ Like.
Yara Mustafa:

يا مسكين.. لسه بتفكَّر في النشطاء اللي قعدوك في البيت بعد ست سنين من الكذب والتدليس والمرجحة على حجر النظام.. إنت محتاج لتأهيل نفسي يا سيادة الرئيس السابق.

Sunday at 16:18 ـ Like.
Yara Mustafa:

رئيس تحرير طبعًا.

Sunday at 16:18 ـ Like.

Mayar elfeki:

Wala yhmk ya ostaz.. bokra el72 yban w y3rfo enk kont btktb 3shan elwatan

· Sunday at 16:21 ـ Like

عادل السطوحي:

ده انتِ ناقصة تقوللي إنه هو اللي نزل للمتظاهرين في التحرير يحمسهم، وإن حسه الثوري أقوى من عمرو حمزاوي!

Sunday at 16:24 ـ Like

ياسر الشرقاوي:

شهادة الدكتور مصطفى الفقي عن الأخ عمرو حمزاوي العضو السابق في الحزب الوطني.

http://t.co/IKIUJNQU

انضم للحزب بناء على ترشيح حسن نافعة!!!!

Sunday at 16:25 ـ Like

خالد أبو العزم:

عزيزي ياسر كم أنت مسكين.. لا أعتبرك مسكينًا لأنك تمارس هوايتك القديمة في النميمة على الآخرين أو تسريب معلومات أمنية عنهم؛ فهي عادة قديمة كنت تفعلها حينما كنت تكتب مقالك في الجريدة الذي يتجاوز أربع صفحات.. أنت مسكين لأن الصفحات الأربع لم تعد موجودة، وأصبحت تشغل ساعات نهارك في متابعة رأي هذا أو ذاك على عبارة صغيرة تكتبها على الفيس بوك.

Sunday at 16:26 ـ Like

خالد أبو العزم:

أخبرني أيضًا.. هل للعبارة الصغيرة نفس وقع انتشاء المقال الكبير؟

Sunday at 16:27 ـ Like

خالد أبو العزم:

أخبرني أيضًا.. هل لا زلت تتلقى مكالمة ما بعد المقال ليشيدوا بعبقريتك في الكتابة، ويؤكدوا أنك ذراعهم الضارب.. في انتظار باقي عباراتك.

طلب تظلم

البنك العربي الأورومتوسطي

إدارة شئون العاملين

طلب تظلم

الاسم: تاليا أحمد عبـ

أغالب اعتيادي على الإنجليزية، أتذكر أنني لم أرَ اسمي باللغة العربية منذ ثمان أو تسع سنوات؛ حيث اعتدت خلال دراستي في الجامعة الأمريكية أن أكتبه بخط منمق يشبه طريقتي في اختيار ملابسي والإكسسوارت الكثيرة التي تميزني، أراها جزء من شخصيتي، ويراها مشروع الحب غير المكتمل في حياتي إصرارًا مني لإضافة جماليات لشخصيتي أفتقدها ـ في وجهة نظره ـ قبل أن يغادر «تريانون» ويغلق باب النقاش خلفه تاركًا إياي وحيدة مع بقايا علاقة امتدت لعامين، وأغنية لـ«راغب علامة» تتحرك في الشاشة الموجودة بالكافيه من دون أن يرتفع صوت الموسيقى منها، يقول إنني عادية، وهذا أجمل

ما شده بشخصيتي، ثم يضيف كأنه يحاول أن يؤكد بكل طرقه أن هذا لقاء الانفصال «في البداية فقط»، لكنه اكتشف أنني أميل لبهرجة شخصيتي العادية بالعديد من الإكسسوارات التي أرتديها في يدي وعنقي وأزين بها حقيبتي وسيارتي الصغيرة.

أتوقف للحظات، أحاول أن أستجمع الخيط الذي قادني وأنا أكتب طلب تظلم وظيفي لتذكره، أحاول أن أتذكر تداعي الأفكار بشكل عكسي فأفشل، أتذكر أنني في كل مواقف الحياة اليومية يقودني الأمر إلى نفس المشهد، تنظر أمي لي على الغداء وتخبرني بأن أختي التي تكبرني بعامين فقط ستزورنا مع ولديها، تصمت قليلًا ولا تضيف فأعرف أنها تمرر لي بطريقتها المعتادة رغبتها في أن تذكرني بأملها في رؤية أحفادها مني، أنشغل بتدوير الشوكة بين شرائط المكرونة البيضاء، كان يتمنى ولدين، أتوقف قبل أن يستمر التداعي إلى محطته الأثيرة، أكمل «عبد الواحد طولان».

السن: ....

تسحب هناء الكرسي الأسود ذا العجلات وتجلس في المكتب المجاور بجواري، تنادي اسمي مرتين، أحاول ألا أضع يدي بجوار عيني حتى لا تلحظ دمعاتي، أسحب شهيقًا قويًّا حتى تجف عيناي ولا يخرج صوتي متحشرجًا، تقول: «مستر صالح برضه ما وافقش»، أحاول أن أبتسم بمعنى نعم، فتخرج من حقيبتها قطعة شوكولاتة كبيرة بالكراميل وتضيف: «الشوكولاتة هتخلي مُودك أحسن»، أجيب بتحفظ: «عاملة دايت.. محتاجة أنزل ٤ كيلو قبل آخر الأسبوع

الجاي»، تغمز بعينها وتقول: «الله يسهله يا عم.. أمسك الخشب.. يا بخته»، أضيف: «دول ناس صحاب ماما جايين يزورونا.. يعني الموضوع عادي»، تزيح الشوكولاتة بيدها تجاهي وتصمت، أتقنفذ داخل مكتبي، أتوهم بأن الفاصل الزجاجي بين مكتبي ومكتبها يسمح لي بنوع من الخصوصية، يشرد عقلي قليلًا فيمن خلق هذا النمط الحديث من المكاتب التي توهمك طوال الوقت بأن لك مساحتك الشخصية في الوقت الذي تتيح للجميع النفاذ إلى تلك المساحة بنظراتهم.

بهدوء شديد أضع رقم ٣٠ وأسقط القلم قليلًا وأنظر إلى «مج» الشاي الأخضر الخالي من السكر الذي يجاور الشوكولاتة، لو أن هناء أهدتني الشوكولاتة في عيد ميلادي لاحتضنتها مثل الأطفال. في عيد ميلادي الخامس والعشرين أهداني خطيبي السابق، الذي نصحتني والدتي بالارتباط به عملًا بمبدأ أن التجربة خير دليل للحكم، هدية كبيرة من الشوكولاتة التي أعشقها، ومع ذلك لم أحتضنه مثل الأطفال. ظلت الشوكولاتة على الرغم من هوسي بها لا تشكل حافزًا بالنسبة لي لأستمر في علاقة روتينية لرجل يريد أن يتزوج فتاة ليتقابلا في السادسة عصرًا بعد انتهاء عملهما أو في إجازات نهاية الأسبوع من دون أن ترى أنها تستطيع الاستمرار مع هذا الشخص تحديدًا من دون غيره.

نوع التظلم:

أحاول ألا أرتكب خطأ إملائي وأنا أكتب التظلم، أميل تجاه هناء

وأسأل بطريقة مقتضبة: «هي الرئيسي الهمزة فين؟». ترفع هناء كتفيها فأدرك أنها غير متأكدة، أكتب: «الرغبة في الانتقال إلى مقر الإدارة الرئيسي في السادس من أكتوبر».

يندهش مستر «صالح» من طلبي ويرفضه، ثلاث مرات رفض طلب نقلي إلى المقر الرئيسي في ٦ أكتوبر، على الرغم من أن عنواني المدوَّن في بيانات قطاع شئون الأفراد يقر بأنني لا زلت أسكن في التجمع الخامس حيث يوجد الفرع الإداري الذي أعمل به، يمر بجواري أحمد «أبو دقن» أو هكذا نسميه لأنه ملتحٍ، يقول: «السلام عليكم يا أساتذة»، لا أجيب، أشعر بضجر كبير من تكرار الوجوه المعتادة في يومي، فقدت خلال فترة وجيزة متعة اكتشاف شخوصهم.

بعد انفصالي عن خطبتي الأولى قررت الانضمام إلى أحد نوادي «روتاري». لم أكن يومًا أهتم بالعمل الاجتماعي أو المجتمعي، لكن زواج صديقتيّ وانشغالهما في التفاصيل اليومية لحياتهما الخاصة وغياب الموضوعات المشتركة بيننا دفعني إلى ذلك، لا يحمسني الحديث عن تطعيم مولود إحداهما، أو كيف أن «مازن» لا يزال يعشق صدر أمه أكثر من البزازة الصناعية، وكيف أن زوجها بات يكره هذا الأمر ويشعر بغيرة، تتضاحكان، أحاول أن أشاركهما نوعًا من الضحك المصطنع الذي أجيده حتى لا تتوهمان بأن الأمر يضايقني. في نادي «روتاري» أصبحت الحياة الاجتماعية لنحو ثمانية عشر شخصًا جديدًا يشاركونني في أنشطة النادي تشدني، أحاول أن

أتعامل بهدوء وتروٍّ لأكتشف الشخصيات، يضيع الأمر مني نحو عام ونصف، قبل أن أترك الأمر بأكمله، أفلسف الأمر لنفسي ولمن حولي بشعوري بالملل وغياب وقت الفراغ، أمسك «مازن» بين يدي وأباعده في محاولة للمداعبة، يجدف بيديه في الهواء فتصطدم كفه الصغيرة بصدري، تتضاحك صديقتاي وهما تقولان: «وطول السنة ونصف دول ما لقتيش حد يغير عليكي من مازن». أزين الأمر بمجموعة من الإكسسوارات التي تؤكد أنني لم أكن أفكر في هذا وقتها، ويتداعى إلى مخيلتي صورة «تريانون»، تدفعني المصارحة دائمًا لهذه الحالة، أكتشف أنني حين أكذب على نفسي أصدقها أيضًا.

أرفع الهاتف وأطلب الرقم الداخلي: «محمود.. كوباية شاي أخضر، وحط من سكر الدايت بتاعي كيس واحد.. وهاتهولي بليز».

حيثيات التظلم:

أرى أن طلبي لكوب الشاي جاء في موعده. أفكر قليلًا، سأكتب كلامًا عن حقي في الترقي والانتقال إلى الفرع الرئيسي حيث يتواجد أكثر من ٣٩٠ موظفًا كفؤًا، أستحق أن أكون واحدة منهم بعد سجل وظيفي مشرف.

يرن جرس هاتفي رنات قصيرة تدل على أن المحادثة داخلية، لا بد أنه أحد الذين لمحوني أخرج من مكتب مستر صالح، لن أجيب، سئمت مهاترات البعض، وأصبحت أجد صعوبة في كوني أبذل مجهودًا لأبين أن الأمر عادي بالنسبة لي، أتساءل إذا كان هذا

التظاهر نوعًا من الإكسسوار، أصل إلى «تريانون»، أقف عند حدود النادل المبتسم وهو يضع إبريقين نحاسيين من الشاي المغربي بالنعناع، أمسك بالسكر وأضعه في إبريقه، يقول لي إنه يحبني، فأصمت قليلًا وأرتبك، وأصطدم بحقيبتي ليقع قلم كحل منها، يمسك راحة يدي بطرف يديه، والكحل باليد الأخرى، يكتب على راحة يدي «بحبك»، ثم يغلق راحة يدي.

في لقائنا الأخير نسي علبة سجائره، ظننته سيعود متلككًا بأنه سيأخذها، ظللت على طاولتي نصف ساعة، اكتشفت أنه لن يعود عندما قاطعني النادل قائلًا: «أرفع العصير يا فندم»، كوبه الذي لم يفرغ منه شيء تقريبًا، أنزع الشمسية الخشبية الصغيرة المثبتة في كوب برتقاله. أنظر أمامي إلى الفاصل الخشبي الذي يكمل الضلع الثالث في المكتب فأجد الشمسية كما ثبتها من وقتها، تميل هناء وتقول لي: «مكتب مستر صالح عايزك.. بيكلموكي ما بترديش ليه؟».

أذهب سريعًا وفي يدي طلب التظلم، ربما غيَّر رأيه، يوسوس لي شيطاني بأنه قد لا يغير رأيه مثلما حدث معي في «تريانون»، ربما لن يغير رأيه مثلما انتظرت غيره أن يعود لأخذ سجائره ولم يفعل. ولم يتبقَ سوى شمسية مثبتة في ذاكرتي. ألمح في طريقي عامل البوفيه يضع الشاي الأخضر الساخن على مكتبي، أنظر إلى طلب التظلم، أعود من حيث أتيت، أجلس على مكتبي، أقول لهناء: «كلميه قوليله معاها مدير المبيعات بتاع مشروع الروابي عشان القرض».

أسقط طلب التظلم على المكتب، أنظر إلى الشاي الأخضر، وأمد يدي فأتناول شوكولاتة «هناء»، ساحت قليلًا بفعل سخونة الجو، أستشعرها تلوث وجنتي وشفتي، أزيح «مج» الشاي الأخضر، وآخذ ما تبقى من شوكولاتة بين يدي، فيما أعتقد أنه مساحة مكتبي الخاصة.

مات الكلام

(١)

على الرغم من أن «آية» لم تعد تعتبر نفسها «إيمو» فإنها لا تزال ترتدي ملابسها السوداء، تترك شعرها القصير مفرودًا بطريقة مميزة، تصبغه باللون الأسود برغم أنه بالفعل أسود، فيصبح كاحلًا مثل ليل الإسكندرية الذي تعشقه تمامًا. لا تحتاج من هذا الليل الشتوي الذي يمتد إلى ثلاث عشرة ساعة إلا لنصف ساعة فقط لتنهي عملها. يهتز هاتفها المحمول الذي تضعه على وضعية الصامت الهزاز، تجد اسم «نيرة» على الهاتف، تضغط زر عدم الموافقة، فتدرك «نيرة» بالتبعية أن «آية» لم تنتهِ بعد. المزاج المتقلب لـ«آية»، وعدم رغبتها في الحديث مع الآخرين بصورة كبيرة، هو ما جعلها تعتبر نفسها لفترة طويلة «إيمو»، تتعارف على أقرانها عبر الإنترنت، وتتلاقى مع مجموعة ممن يصادقونها لمدة عام قبل أن يزداد شعورها بالاكتئاب، فتقرر أن تبتعد عنهم، بينما يصفونها بأنها «إيمو غير حقيقية».

يهتز الهاتف مرة أخرى، تضغط «آية» زر التجاهل وتتأكد من

جميع أدواتها: «الإستنسل» الذي احتاجت لثلاث ليال لتفريغه وقصه، وزجاجات الطلاء المرشوش، وشريط لاصق قوي، وعبوة مشروب للطاقة أخرجتها من ثلاجتها الصغيرة. تتحرك ببطء على الدرج المؤدي إلى مدخل عمارتها بحي «محرم بك». تدخل سيارة «نيرة» التي تنظر لها نظرة عتاب، بينما تتبرم «آية» من أغنية لـ«سميرة سعيد» أدارتها «نيرة» في سيارتها، تدير «نيرة» مسَّاحات السيارات لتزيل الأمطار التي تهطل، ثم تتحرك تجاه الحواجز الخرسانية أمام منطقة «كليوباترا» حيث تكمل «آية» لوحة «جرافيتي» كانت قد بدأتها بالأمس. لا تمارس «نيرة» «الجرافيتي»، لكنها تعشق عالم «آية» بشكل أو بآخر. استطاعت أن تتعرف على عدد من أصدقائها ممن يقابلونها في مكتبة الإسكندرية، ترافقها إلى بعض الأماكن ليلًا للرقص، تشرب «آية» مزيجًا تفضله بين البيرة الكحولية ومشروب الطاقة، إلا أن «نيرة» لم يعجبها طعمه بأي حال من الأحوال. تقف في الجزء المخصص للسيارات والقريب للحواجز الخرسانية المنشودة، تسأل «آية»: «ألن تأتي؟». تجيب «نيرة» بالرفض خوفًا من أن تعاود الأمطار التي توقفت الهطول فيتبلل شعرها بفعل الأمطار، خصوصًا أنها ستحضر فرح إحدى صديقاتها بعد يومين، ثم تضيف بأن العملية هذه المرة لن تستغرق وقتًا؛ لأنها ـ أي آية ـ ستنهي عملها سريعًا لأن استكمال لوحة «جرافيتي» أسهل بكثير من بدايتها.

كانت تلك المعلومة بشأن «الجرافيتي» قد قالتها «آية» لـ«نيرة» من قبل. تسأل «نيرة» «آية» إن كانت ستستطيع أن تعمل والخرسانة

مبللة. تهز «آية» كتفيها بمعنى أنها لا تدري. تخرج من السيارة وتحمل أدواتها من الحقيبة. تتجه نحو اللوحة التي كانت بدأتها بالأمس، كانت عبارة عن وجه صلاح جاهين وبجواره عبارة «غمض عينيك وارقص بخفة ودلع». كانت قد أنهت العبارة بينما لم تبدأ في تلوين الوجه. لم تكن «نيرة» ممن يتابعون رباعيات جاهين، تلتقط رباعية من هنا، وتسمع أخرى من هناك. تجد أن العبارة تشكل اقتباسًا قويًّا، ووجه جاهين يصلح لأيقونة مصرية مختلفة ومميزة في «الجرافيتي». تتلفت حولها. تشك في أنها أخطأت موقع المصد الخرساني. لا تجد عبارتها. يشد انتباهها طلاء خفيف أبيض اللون يظهر تحته بقايا عبارتها، وفوق ذلك الطلاء الأبيض الذي دُهن به وجه المصد الخرساني عبارة «أترضاه لأختك؟». تشعر «آية» بحالة من الغيظ فيما حدث للوحتها. يتأرجح احتمالان أمامها: الأول: أن تقضي على اللوحة التي قضت على لوحتها، والثاني: أن تبحث على مصد جديد تتم فيه عملها، إلا أنها اختارت احتمال عفوي أخير، ترج طلاء الرش أحمر اللون، تكتب أسفل عبارة «أترضاه لأختك؟» كلمة واحدة بالإنجليزية «fuck».

(٢)

يمر «فيصل» بعد ثلاثة أيام من كتابته «أترضاه لأختك؟» بسيارته تجاه «كليوباترا». يعشق هواء الإسكندرية. يخرج من سيارته ويقف بعد أن ينتهي من عمله كطبيب في إحدى المستشفيات، يستنشق

الهواء، يلحظ الكلمة الخادشة التي تركها أحدهم تحت عبارة «أترضاه لأختك؟».

على عكس أقرانه كان «فيصل» يتميز بحلاوة الخط. اهتم في أثناء دراسته في المدرسة بالخط العربي وترتيل القرآن الكريم. لم يمتلك حلاوة صوت في الترتيل، لكنه كان يحاول دائمًا أن يطور من نفسه. بعد أن أصبح طبيبًا قرر ألا يتخلى عن هوايته بكتابة الخطوط العربية، يصنع لوحات مدرسية لابن أخيه الصغير عن أركان الإسلام ليُعلقها في مدرسته، ويتطوع بعمل لوحات لزاوية صغيرة في منطقة العصافرة، والتي يصلي فيها أحيانًا. يدفعه شعوره بعظمة الثواب الذي يحصل عليه وحفاوة الناس بأعماله إلى الاستمرار. عندما وجد عبارات «الإسلام هو الحل» و«أترضاه لأختك؟» على المصدات الخرسانية في منطقة «كليوباترا» قرر أن يتحرر بطاقته من داخل جدران الزاوية الصغيرة التي يخط فيها. يبدأ في عمل عدد من العبارات التوعوية والدينية على جدران شوارع العصافرة، ثم عدد من العبارات الأخرى على المصدات الخرسانية. كان «فيصل» مؤمنًا بأن أهمية ما يفعله ليست في نشر الإسلام كما يجب أن يكون، لكنه أيضًا يدرأ الفتن من خلال طمس عبارات الخلاعة والإباحية المنتشرة في ربوع الإسكندرية؛ لذلك كان يحاول أن يزيل اللوحات التي تحمل عبارات تحرك الغرائز أو تدعو إلى الفجور، ولمّا رأى عبارة «غمض عينيك وارقص بخفة ودلع» وجد أنها تندرج تحت العبارات التي يجب إزالتها. يقرر أن يعود لها في ذات اليوم الذي رآها فيه للمرة الأولى. بعد صلاة العشاء، توقف بسيارته، وأخرج

دهانًا أبيض اللون قام بطلاء المصد به، ثم أحضر قلميه الرصاص، رسم خطين عرضيين يستطيع من خلالهما أن يضبط هندسة الحرف، وبخط نسخ وقور كتب «أترضاه لأختك؟». يحمل فرشاته الصغيرة التي يغمسها في الدهان الأزرق ويكتب العبارة، يضع بعض علامات التشكيل لزيادة زخرفة العبارة، ثم يصنع ظلًّا تحتيًّا للعبارة أسود اللون حتى تبدو العبارة مجسمة، يقف ويرجع إلى الوراء خطوتين، يشعر بالرضا عما يفعله، ينظر في ساعته، نحو عشرين دقيقة استغرقها ليفعل ذلك، يركب سيارته ويتجه نحو العيادة الملحقة بالمسجد والتي يذهب إليها متطوعًا كل ثلاثاء.

يقرر «فيصل» أن يعود إلى منطقة المصدات الليلة؛ ليمسح العبارة النابية التي تركها أحدهم له أسفل عبارته. بعد صلاة العشاء، يتوقف بسيارته، يُخرج علبة الدهان الصغيرة من سيارته، يطلي الكلمة بالأبيض ويرحل.

(٣)

طوال الليالي الثلاث الماضية أصرت «آية» على الذهاب يوميًّا عند انتصاف الليل إلى منطقة الحواجز الخرسانية. تجد كلمتها مكتوبة فتدرك أن صاحب العبارة لم يرَ رسالتها، إلا أنها حين رأت العبارة مزالة بالدهان الأبيض، عرفت أنه رأى الرسالة أخيرًا، فشعرت بالسعادة. تعود إلى سيارة «نيرة» فتسألها الأخيرة: «هل أزالها؟»، ترد «آية» بنعم، بينما تفترض «نيرة» أن إزالة اللوحة لا يجب أن

تكون بالضرورة لنفس الشخص الذي أزال اللوحة الأولى. لا ترد «آية» وتخرج أدواتها من المقاعد الخلفية للسيارة لتكمل الجزء الثاني من خطتها. لا يهمها أن الشخص الذي أزال لوحتها هو من أزال عبارتها؛ لأنها تعتبر أن الكيان في النهاية واحد، وأنها توصل اعتراضها إلى الفكر في عمومه وليس في شخوصه، إلا أن إحساسًا داخليًّا كان يجعلها واثقة من أن الفاعل واحد في الحالتين. تستغل أن الإسكندرية لم تمطر الليلة على الرغم من برودة الجو لتنهي عملها بالكامل الليلة. كان الجزء الثاني من خطتها يتلخص في أن تجهز على عبارات الرجل المغتصب. كانت موقنة أنه رجل؛ فهي لم ترَ فتيات ينتمين إلى أي تيار إسلامي يقمن بعمل لوحات. تدهن المصد الخرساني بلون أحمر قاني يخفي تفاصيل أطلال ما تحته، تلصق البلاستيك المفرغ، وتبدأ في رج زجاجات الطلاء، تستخدم اللون البرتقالي. لوحتها هذه المرة كانت لوحة لوجه الطفل الإعلاني «أوشا»، الذي ظهر في أحد الإعلانات التجارية يلعب بـ«البلاي ستيشن» بمفرده، بينما يقف باقي أطفال الحي في طابور طويل في انتظار أن ينهي عمله. أنهت دهان هذا الوجه ثم قامت بلصق البلاستيك المفرغ للعبارة المصاحبة التي كانت «أوشا.. مش هاسيبك تلعب سنجل». كان حجم كلمتي «أوشا» و«سنجل» في التكوين الفني أكبر من باقي الجملة. تعود «آية» إلى سيارة «نيرة» وهي تبتسم. تتحرك «نيرة» فتصطدم عينا «آية» بعبارة «مات الكلام» كُتبت على خلفية إحدى عربات نقل الركاب (الميكروباص) فتعلو ضحكات «آية».

(٤)

يشعر «فيصل» بنوع من الغضب تجاه ما حدث لمصد الخرسانة، لم تضايقه العبارة قدر ضيقه بتحول الهدف الذي حاول أن يرشد الناس إليه إلى نكتة لم تضحكه. يتمنى لو استغل كل فنان فنه فيما يراه ينفع الناس. لوهلة تمنى لو رأى صاحب العبارة فنصحه باستغلال موهبته في مجالات أخرى ترضي الله. يحاول أن يتمسك بهدوئه كلما نظر إلى اللوحة الجديدة، إلا أنه يفشل في ذلك فيقرر أن يزور المصد بعد ليلتين حين ينتهي من أعماله لإزالتها.

بعد صلاة العشاء حمل «فيصل» أدواته: أقلامه الرصاص، فرش الدهان. يدهن المصد بالأسود، يكتب، يدهن، يظلل، ثم يقف يقرأ الآية التي كتبها: «وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ» يتأكد من التشكيل، ثم يضيف علامة التنوين لكلمة أجل، ويرحل.

يتأكد هذه المرة أن الرسالة ستصل كاملة إلى غريمه. يتفتق في ذهنه قرار أن يراقب المصد عدة ليالٍ حتى يقابل ذلك الغريم فيقنعه بأن الأمر غير شخصي، ويرشده بأنَّ ما كتبه آية من القرآن الكريم لا يجوز إزالتها؛ لأن هاجسًا دار في خلده أن الغريم ربما يكون قبطيًّا أو أجنبيًّا يقيم في الإسكندرية وهم كُثر، ويحاول أن يقنعه بالانضمام إليه بفنه، لا يحتاج «فيصل» للبقاء كثيرًا؛ إذ يجد غريمه يزور الموقع في الليلة التالية.

(٥)

تتوقع «آية» أن تثير لوحة «أوشا» ذلك الجاهل الذي مسح لوحتها في المرة الأولى. تزور الكورنيش صباحًا لعدة أيام حتى تكتشف أن لوحتها تمت إزالتها في الليلة الماضية، وأن الرجل كتب آية قرآنية، وضع بعدها بخط صغير عبارة «صدق الله العظيم» فتأكدت أنها آية قرآنية. تقضي «آية» بقية النهار في تجهيز الرد عليه، وتقرر أن تخرج ليلًا بصحبة «نيرة» لإزالة ما فعله. تسألها «نيرة» إن كانت الأمطار الغزيرة ستساعدها على ذلك، فتجيب «آية» أنها ستبذل قصارى جهدها.

تقف سيارة «نيرة» في ساحة الانتظار. تُخرج الأدوات، وتتجه إلى المصد، بينما تقف «نيرة» تلاحظ، على الرغم من الأمطار الهاطلة، وجود سيارة على الجانب المقابل من الكورنيش يجلس بداخلها رجل ينير الإضاءة الداخلية للسيارة ويرمق السيارة، وهو أمر غريب، خصوصًا أن الشارع شبه خاوٍ في هذا الوقت من الليل والمطر. تشعر بقلق، لكنها تحاول ألا تلعب الظنون برأسها.

تبدو المصدات زلقة بعض الشيء. تحاول «آية» أن تحترس لخطواتها. تقرر أن تضع «الإستنسل» البلاستيك المفرغ في الثلث العلوي الذي يعلو الآية لتجرب إن كان الطلاء سيصمد أم أن المياه ستجعله يسيح على بقية اللوحة. وفوق الآية التي كتبها الرجل باللون الأخضر الغامق في المنتصف تمامًا تبدأ في رش عبارتها التي نقلتها

عن أقوال أرسطو المأثورة «The gods too are fond of a joke».
ستنتظر لدقائق حتى تجف فترى مدى ثبات الطلاء. تلمح الآية لا تزال ظاهرة خلف اللون الأصفر الفاتح. لا بأس، فهي تنوي طلاء المصد بالكامل، ثم إعادة الكَرة لو أثبت الطلاء صمودًا مع هذا اللون.

تستشعر «نيرة» القلق أكثر من السيارة التي عبرت الجهة المقابلة من أول ملف وجاءت لتقف وراءها. تأخذ محمولها وتبدأ في الاتصال بـ«آية» التي شرعت في إزالة البلاستيك المفرغ. يهتز هاتفها في جيب بنطالها، لا يتوقف عن الاهتزاز. تمسك طرف البلاستيك بيدها اليمنى وتشرع في إخراج المحمول بيدها اليسرى من البنطال، تضغط زر قبول المكالمة، قبل أن تنزلق بفعل الأمطار وتسقط على المصدات فتصرخ صرخة مدوية. يتحرك بسرعة نحوها ثلاثة من المارة، بينما تشعر «نيرة» بالقلق، فتتحرك بسيارتها بمحاذاة الكورنيش أمام المصدات. يخرج المارة وهم يحملون «آية»، أحدهم يقول إنها تعاني من كسور، تخبرهم «نيرة» بأنها صديقتها، يضعونها في الأريكة الخلفية للسيارة وتنطلق بها لأقرب مستشفى، بينما لا تكف «آية» عن الصراخ.

(٦)

يقترب «فيصل» بسيارته من المارة الذين أنهوا مهمة وضع الفتاة في السيارة التي انطلقت، ويسأل عما حدث فيخبره أحدهم أنها فتاة انزلقت ونقلتها صديقتها إلى المستشفى. يترجل، يقترب من

المصدات، يحذره أحدهم من الانزلاق هو الآخر. ينظر فيجد أن عبارتها الباهتة تعلو الآية القرآنية، يقرأها: «The gods too are fond of a joke»، فلا يضحك. يركب سيارته وينطلق وهو موقن أن الفتاة نالت عقوبتها الإلهية؛ لأنها حاولت أن تزيل آية قرآنية، بينما تبقى العبارتين فوق المصد الخرساني ذاته.

ضهر الفرس

في محاولته الأولى لكتابة القصة القصيرة، يرصد هيثم دبور تجربة إنسانية مختلفة لمن يمكن أن نسـميهم بالمهمشـين الجدد، أولئك الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى من هذا المجتمع والذين تتأرجح تفاصيل حياتهم بين التعلق بالآمال البسيطة، ومحاولة النجاة بها من إحباطات الحياة العادية.

ينسـج دبور بلغة لا تخلو من مرارة سـاخرة الجانب الآخر من حياة بشـر قـد تقابلهم يوميا، لكن تدفعك كل قصة للسـؤال عما إذا كان هذا الجانب من شخصياتهم واقعا أم من محض خيال الكاتب.

هيثم دبور كاتب وشـاعر مصري مـن مواليد ١٩٨٦، تخرج في كلية الإعلام ويعمل في مجال الصحافة المكتوبة والتلفزيونية، له عدد من المؤلفات السـاخرة مثل «أول مكـرر» و«مادة ٢١٢» والدواوين الشـعرية مثل «بُكرة مش مهم الساعة كام» و«أزمة منتصف العمر ٢٣ سـنة و«حالة المصري»»، وكتب للسينما مؤخرا المعالجة والإعداد الخاص بالفيلم التسجيلي «التحرير: الطيب والشرس والسياسي» والذي حصد عدة جوائز.

دار الشروق
www.shorouk.com